محمد أوزون

بداية الأدب الكردي

(بحث)

ترجمة:

دلاور زنكي

المدخل

من المألوف أن النظريات الأدبية والسياسية لا تلتقيان وليس فيها انسجام ومطابقة وهذا الأمر لا يساهم في إثراء الآداب أو أغنائها. ولكن... وا أسفاه- أنا مكره على الشروع في هذا البحث المقتضب من رؤية سياسية. لأن الباحث حين يسعى إلى الخوض في شؤون الأدب الكردي مقسر على التريث والوقوف لدى الأحوال السياسية في بلاد كردستان. ففي كردستان يرتبط كل شيء- والآداب ضمناً- بالسياسة والحياة الاجتماعية "ربما لن نعثر في أية رقعة من الأرض على آداب أمة أو شعب ترتبط بالسياسة ارتباطاً وثيقاً كما هو الحال في الأدب الكردي".(١)

ينبغي للمرء –أول وهلة- أن يعلم بأن بلاد كردستان منذ عام ١٠٧١م وحتى الآن تحدق بها الأخطار الجسام والنذر التي توعدها بالضياع. ولهذا التاريخ أهمية بالغة لدى الأكراد، حيث اقتحمت القبائل الطورانية الغازية المدن وفتحت بوّابة الأناضول وتشبثت بالأرض ورسخت فيها أقدامها. وفي هذا التاريخ اندحر سكان الأناضول البيزنطيون ولحقت الهزيمة بالأكراد في موقعة "ملازكير" لدى مقاومة الغزاة والتصدي لهم. وقد غدت هذه الانتكاسة مصدر ويلات ومآس للأكراد لا تنتهي...

وقد غدا عام ١٠٧١م بداية ضياع البيزنطيين، وحين تمكن الأتراك من فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م انهارت الإمبراطورية البيزنطية ولم تعد قادرة على المقاومة فخُرجت من ساحة التاريخ وضاعت.

أما بالنسبة للأكراد فإن الإخفاق في معركة "ملازكير" كان بداية حياة مسحوقة وممزقة عظيمة البؤس. ومنذ ذلك التاريخ دأب الأكراد على التصدي للقوات والجيوش الخارجية ومحاربة الدخلاء لحماية أنفسهم.

وقد ارتبطت كردستان بالدولة العثمانية –أول مرة- في عهد السلطان سليم الذي أبرم الوثائق والعهود بينه وبين الأمراء الأكراد الذين شاركوا ببعض قواتهم الجيوش العثمانية لمقاومة الصفويين الذين كانوا آنذاك أهل قوة وبأس.(٢) وبعد تلك المعاهدات شرع الأكراد يحاربون القوات الإيرانية في جهات بحيرة "وان" ومناطق "جالديران".(٣) وقد ورد ضمن وعود السلطان سليم أن الأكراد من حقهم تشكيل حكومة مستقلة وإدارة شؤونها بأنفسهم. وقد جرت المباحثات في هذا الصدد بين الأمراء الأكراد والسلطان سليم عن طريق الشيخ "إدريس البدليسي" بصفته الممثل السياسي للسلطان سليم ومؤرخه الخاص(٤) وهو أول من دوّن تاريخ العثمانيين.(٥)

ومما لا شك فيه أن توزع كردستان بين إمبراطوريتين كبيرتين الحق الضرر الفادح بكردستان ووقف عقبة كأداء في سبيل تقدمها فما استطاعت الإمارات الكردية أن تتوحد وما استطاعت الآداب واللسانيات أن ترتقي وتتطور كاللغة الفارسية. وبسبب هذه السلبيات والواقع الزريّ وقعت كردستان تحت وطأة المتنازعين وصارت ساحة للمعارك الطاحنة التي لم تكن لها فيها ناقة أو جمل، فهي مستولى عليها سواء اذا انتصر الفرس أو انتصر العثمانيون والأكراد من بعد ذلك محكوم عليهم بالإذعان لهذه الإمبراطورية أو لتلك. وفي خاتمة المطاف تمخض هذا الأمر في عام ١٦٣٩م عن انشطار البلاد وتحولها إلى جزئين. ثم ان الإمبراطورية الفارسية والعثمانية –آنذاك- وجدتا من الخير لهما الكف عن القتال واللجوء إلى الهدنة وأنهما تفتقران إلى أرض محايدة تفصل بينهما وفي معاهدة "قصر شيرين" اتفقتا على تقسيم كردستان(٦) التي تحولت فيها –بعد هذا التقسيم- الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية إلى أسوأ الأحوال من فقر وجهل واضطراب. وقد تحدث الشاعر العظيم ملا أحمد الخاني في مؤلفه الشهير "مم و زين" عن هذا الاتفاق الغاشم:

Bifikir ji Erab heta ve Gurcan

Kurmanc çi bûye siphê bircan

Ev Rûm û Ecem bi van hesar in

Kurmanc hemî li çar kenar in

Herdû terefan qabîlên Kurmanc

Bo tîrê qeza kirine amanc (٧)

ويقول الشاعر حجي قادر كويي من القرن التاسع عشر- الذي جاء في أعقاب ملا أحمد الخاني.

Le mabeynî kilaw şûr û kilaw reş

Perêşan in,dibine mîsalî gay beş (٨)

بعد مرور ثلاثمائة عام على هذا التقسيم الأول، تعرضت البلاد إلى تقسيم آخر، ففي أعقاب الحرب الكونية الأولى عندما اجتمعت تركيا والدول الحليفة المنتصرة في مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣م تحولت بلاد الأكراد إلى أربعة أجزاء وقبل انعقاد مؤتمر لوزان بثلاثة أعوام عام ١٩٢٠م كانت الدولة العثمانية والدول المتحالفة المظفرة قد أصدرت لدى انعقاد مؤتمر سيفر عام ١٩٢٠م وثيقة أقرت فيها منح الأكراد الحقوق القومية والحقوق الإنسانية، ولكن اسم الأكراد – بعد مرور ثلاثة أعوام- حذف من الأوراق في مؤتمر "لوزان" وأعيدت تجزئة بلادهم. لقد كانت

معاهدة "لوزان" نكبة قاصمة للأكراد(٩) لأنها قضت بتجزئة كردستان إلى أربعة أجزاء وقد كانت المعاهدة قاتلة حقيقية لهذه البلاد إذ تمزقت الأرض وتشتت الشعب.(١٠)

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها نالت جميع الشعوب والأمم حقوقها دون أن يظفر الأكراد بأي نصيب من هذه الحقوق علاوة على تمزق بلادهم.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى هذه الأيام ما زال الأكراد في كردستان يعيشون حياة مشتتة يخوضون معركة بين البقاء والفناء أو بين العدم والوجود... لذلك كان من الواجب على المرء أن يلقي نظرة متمعنة على حرب العدم والوجود اذا شاء أن يبحث في قضية اللغة والأدب.

الأدب الكردي: الصراع بين البقاء والفناء

إنني أميل منذ الآن إلى البوح بهذه الحقيقة: إن الآداب الكردية لم تتطور ولم ترتق إلى درجة يمكن مقارنتها بالآداب العالمية أو الموازنة بينهما. لأنها أي الآداب الكردية لم تتح لها الظروف الملائمة في حياتها السياسية والاجتماعية التي تعد شرطاً من الشروط التي يقوم عليها بنيان أيّ أدب من الآداب. إن الأهوال والملمات السياسية التي حاقت بالشعب الكردي أغلقت السبل أمام آدابه وحرمتها من وسائل التطور والارتقاء. إلا أنه من الممكن أن يتحدث المرء عن الأدب الكردي ويضفي عليه نعوتاً حسنة في فترة "الأعوام الألف ١٠٠٠م" ونعنى الأدب الكردي المدوّن الذي ظل مزدهراً ومتألقاً وناضجاً حتى الفترة التي تجزأت فيها كردستان وتوزعت بين الدول. لأن البلاد طيلة هذه المدة كانت موحدة ومتمتعة بالحرية والاستقلال ولها وشائج وعلاقات جيدة مع جاراتها من الدول... وفي هذه الأيام برز رجال أفذاذ في العلوم والآداب وغيرهما من المعارف.

إن هذا الجزء الأكبر الذي كان يقع ضمن حدود الدولة العثمانية وهيمنتها كان عبارة عن ثلاث دول معروفة باسم "الدولة الكردية" موزعة في دياربكر والرقة والموصل.(١١)

تحكمها ثلاث عائلات كردية. وعلى الرغم من نظام الدولة العثمانية فإن هذه الدول الكردية كانت شؤونها تدار وتسيّر حسب الأعراف والتقاليد الكردية، أي أنها لم تكن خاضعة في إدارة أمورها للأنظمة العثمانية. وهذه الأعراف والتقاليد الاجتماعية كانت تنفذ وتطبق في رعاية الأمراء وتدبيرهم، ولأن هذا الأمر داخل في صلب موضوعنا وله علاقة بهذا البحث فلا بُدَّ لنا من التوقف عند إمارة "جزيرة بوتان=جزيرة ابن عمرو" لأن الفطاحل من الشعراء التقليديين "الكلاسيكيين" المعروفين بأصحاب المدرسة "الكرمانجية الشمالية" عاشوا في ارجائها مثل: علي الحريري (١٤٢٥-١٤٩٠) وملا أحمد باتي (١٤١٤-١٤٩٥) وملا أحمد الجزيري (١٥٧٠-١٦٥١) وفقي طيران (١٥٩٠-١٦٦٠) وأحمد خاني (١٦٥١-١٧٠٧).(١٢)

وليس خافياً أن اللغة العربية بعد أن اعتنق الأكراد الإسلام كان لها تأثيرها البالغ في كردستان، وعلى الرغم من هذا التأثير العميق فقد نظم علي الحريري قصائده باللغة الكردية وأصدر بها ديواناً وحسب ما يقال فإن الحريري هو أول شاعر كردي نظم شعراً باللغة الكردية بعد ظهور الاسلام في كردستان.(١٣)

إن "الملا" الجزيري الصوفي المذهب له شهرة واسعة بين جميع الطبقات الكردية ولاسيما بين رجال الدين وطلاب "الفقه".

اسمه الحقيقي هو: الشيخ أحمد، ولد في مدينة "جزيرة" وكان شاعر أمير جزيرة "بوتان" وقد ألف شعراً بليغاً ورائعاً جمعه في ديوان وقد جعله هذا الديوان أحد أهم الشعراء الكلاسيكيين التقليديين الخالدين.(١٤) ولغته واسلوبه لهما خصوصيتهما في الأدب الكردي وكان معاصراً للشاعر الفارسي الكبير: حافظ شيرازي. ويبدو لنا أنه كان على معرفة به حيث يقول في إحدى قصائده:

Ger lûlû yê mensûr ji nezmê tu dixwazî

Der şihîrê Melê be, te bi Şirazî çi hacet

ونعتقد أن اللغة الفارسية كانت اللغة الأدبية التي تجذب إليها الأدباء وتحظى بأعلى الدرجات، لذلك نرى الجزيري في البيتين السابقين يدعو القراء المعجبين بالأدب الفارسي: إن كنت تبحث عن اللؤلؤ المنثور فهذا هو شعر الملا "الجزيري".. فما افتقارك إلى "الشيرازي" يدعوهم إلى الالتفاف حول لغتهم الكردية والعودة إليها. وتداولها في الآداب.

إن "محمد" المعروف باسم "فقي طيران" هو من أهالي "مكوس= Mikusê" وحسب ما صرح م. محمود بيازيدي لـ.آ. جابا فقد عرف فقي طيران بثلاثة أعماله هي: "الشيخ الصنعاني" و "قيساي برسيايي" و "قوْلي هسبي رش".(١٥)

كان فقي طيران من تلاميذ الشاعر ملا أحمد الجزيري وقد تأثر بمدرسته الشعرية وكتب الشعر على منوال أستاذه الملا أحمد الجزيري وسار على منهجه في أسلوبه الشعري في بداياته(١٦) ولما اكتملت شاعريته ابتكر لنفسه أسلوباً سهلاً رقيقاً، اسلوباً سهلاً ممتنعاً كما يقال ولكنه في متناول فهم الجميع وهو خالٍ من الانبهام والغموض. وبهذا الأسلوب والمنهج أصبح فقي طيران من الشعراء الخالدين الذين تقرأ قصائدهم بنهم وشوق. وعلى النقيض من شعر الملا أحمد الجزيري فإنّ الشاعر فقي طيران حرر شعره من أسر التصوف وقيوده وكتبه بأسلوب واضح شعبي يفهمه عامة الناس. وحتى الآن ما يزال شعره يقرأ بكثرة في الأوساط الكردية ويعاد طبع ديوانه بين حين وآخر. ومن المعروف والمشهور أن أحاديث وروايات تُنقل وتُروى عن "فقي طيران".(١٧)

يقول جلادت عالي بدرخان في بعض كتاباته القيّمة التي تحمل عنوان "كلاسيكيونا"- الأدباء والشعراء الكلاسيكيون": إن "فقي طيران" أثيرت عنه حكايات تزعم أنه كان يفهم لغة الطيور. وفي هذا المعنى صيغت رواية طويلة. وآخر الشعراء المنتمين إلى مدرسة "الجزيري" هو أحمد الخاني الذي يعد دون شك ودون مراء اكبر وأعظم شاعر وكاتب كردي. ومن أعظم آثاره روايته الشعرية "مم و زين" التي نسجها على غرار ملحمة "ممي آلان"

الأسطورية القومية. وأحداث "مم و زين" مستقاة من ينبوع هذه الملحمة ومقتبسة من ضوئها..(١٨) وقصة "مم وزين" حكاية حب بائس مفعم بالآلام واللوعة واللهفة بين قلبين عاشقين.. إلا أن الملا أحمد الخاني كتبها بأسلوبه الجذاب ولغته البليغة وسبكها في قالب جديد من صناعته وصاغ الملحمة صياغة فريدة سكب فيها وجدانه وضميره ومشاعره وأخرجها إخراجاً رائعاً ممتعاً. والشاعر أحمد الخاني عالم ومفكر قومي يحمل هموم قومه ووطنه بكل ما في ذلك من المعاني، فهو أول من فكّر متأنياً متمهلاً في شأن الآداب واللغة والثقافية الكردية ودعا إلى توحيدها. ولا تزال قصة "مم وزين" أثراً فذاً رائعاً في الأدب الكردي. وليس من شك في أن أحمد الخاني عالم كبير متضلع من اللغة والأدب. وأهمية أحمد الخاني وجلال قدره في الأدب الكردي تضاهي أهمية شكسبير وسرفانتس ودانتي والفردوسي في آداب ولغات بلادهم.

ولقد تحدث هذا الشاعر الجليل عن الأدباء والشعراء القدماء الأكراد في مستهل عمله الأدبي حيث يقول:

Ger dê hebûya me jî xwudanek

Alîkerîmek, letîfedanek

Ilim û huner û kemal û îzan

Şiêr û xezel û kitab û dîwan

Ev cîns bibûya lib a wî mamûl

Ev neqd ê biba lib a wî meqbûl

Min dê elema kelamê mewzûn

Alî bikira li bane gerdûn

Bînave riha Melê Cizîrî

Pê hey bikira Elî Herîrî

Keyfek we bida Feqihê Teyran

Hetta bi ebed bimayî heyran (١٩)

وفي ذلك العهد كانت اللغة العربية والفارسية تدوّن بهما الآداب وتنظم القصائد وتكتب العلوم، إلا أن الملا أحمد خاني أصدر عمله الأدبي ذا الشهرة الواسعة "مم و زين" باللغة الكردية لأسباب يذكرها في هذه الأبيات:

Da xek nebêjitin ku Ekrad

Bê marîfet in, bê esl û binyad

Enwayî milet xwedan kitêb in

Hem ehlê nezer nebên ku Kurmanc

Işqê nekirin jib o xwe amanc

Têkda ne di taib in, ne metlûb

Vêkra ne mihîb in ew, ne mehbûb

Bê behre ne ew, ji eşqbazî

Farix ji heqîqiy û mecazî…(٢٠)

أي أنه فعل ذلك حتى لا يخطر على بال أحد أن الأكراد ليسوا أصحاب مجد وليسوا أهل آداب. إن ملحمة "مم و زين" التي أخرجها "الخاني" في ذلك القالب القشيب والصورة الزاهية ليست مجرد رواية حب طاغ أو قصة عشق حزين ولكنها في الوقت نفسه عمل أدبي رقيق الحاشية مطرز بأسلوب عذب يبلغ أقصى درجات العذوبة والجزالة والبيان لا نجد في الأعمال الأدبية له نظيراً.

إن أبطال ملحمة الخاني هم أشخاص ورد اسماؤهم في ملاحم قديمة غارقة في القدم وفيهم أيضاً أشخاص عاصروه من رجال الثقافة والمجتمع والسياسة فهو يتحدث عنهم يقول الخاني:

Sazê dilê kul bi zêr û bem bit

Sazendeyê işqê Zîn û Mem bit.

ثم يتابع:

Şerha Xemê dil bikim fesane

Zînê û Memê bikim behane

Nexme we ji perdeyê derînim

Zînê û Memê ji nû ve vejînim.(٢١)

إن " مم و زين" هما رمزان من رموز الأكراد ولغتهم وبلادهم كردستان. والملا أحمد الخاني في هذا الأثر العظيم الذي تركه للأجيال المتلاحقة يصف بإسهاب أحوال زمانه وصفاً دقيقاً بأسلوب شائق جذاب يجعل المرء يشعر بطلاوة اللغة الكردية ويحثه على احتضان لغته ورعايتها قراءة وكتابة. وهذه هي المرة الأولى التي يجعل فيها "الخاني" الحس القومي والشعور الوطني جزءاً من حياة الأكراد.

يحاول الباحث: "باسيل نيكيتين" الموازنة بين الشاعر ملا أحمد الخاني وبين الشعراء النابغين في ذلك العهد مثل: جلال الدين الرومي، ويتحدث عن الخاني على الشكل التالي:

"مما لا شك فيه أن الشاعر أحمد الخاني هو أحب الشعراء إلى نفوس الأكراد وأعظمهم قدراً... إن ثقافة الخاني ومعرفته باللغة الرصينة والمعاني الشريفة وإتيانه بالصور والأخيلة وعشقه المتدفق وحبه وأشواقه جعلته أعظم شاعر يأخذ بالألباب ويسبي الأفئدة".(٢٢)

لقد ألف الشاعر الخاني –علاوة على ملحمة "مم و زين" معجماً منظوماً في اللغة العربية والكردية للمبتدئين والناشئين، وحسب ما نعلم فقد كان الخاني يدرّس اللغة الكردية في مدرسته في مدينة "بيازيد".. ولما وضع معجمه آنذاك كان يعتقد أن تلاميذه بحاجة إلى مثله. يتحدث الخاني عن عمله في مقدمة معجمه على الشكل التالي:

Ev çend kelîme ne, ji luxatan

Vêk êxistin Ehmedê Xanî

Navê (Nûbihara Biçûkan) lê danî

Ne ji bo sahib rewacan

Belkî ji bo biçûkêt Kurmancan.(٢٣)

يقول الشاعر هنا ما فحواه:" هذه كلمات لغوية ألفها "أحمد خاني" بعنوان" نوبهار" –أي الربيع الجديد" لصغار الأكراد".

وينقل الرواة عن الشاعر أنه ألّف كتاباً في علم الفلك... ولقد كان لأحمد خاني التأثير الفعّال في أساليب أولئك الكتاب والشعراء الذين أتوا من بعده، وساروا على نهجه فاستفادوا من علمه وأدبه وشعره ودليلنا في ما ذهبنا إليه أن الشاعر الكبير "حاجي قادر كويي"(١٨١٧-١٨٩٧) الذي يعتبر ويعرف بين الأكراد بلقب أحمدي خاني الثاني- يلهج بذكره في شعره ولا يكف عن الثناء عليه والاعتراف بفضله ونبوغه وتفوقه وسمو قدره.(٢٤)

ولا مندوحة لنا من العودة إلى الشاعر:"فقي طيران" والتحدث عنه فهو أول شاعر يمارس كتابة النثر ويسهم في بناء هيكل النثر الكردي والارتقاء به.

وكتابه النثري بعنوان "برسيس Ber Sîs" هو النموذج أو المثال الأول عن النثر الكردي، وفي هذا الكتاب يتناول موضوعاً اسطورياً خرافياً "ميثولوجيا" مشبعاً بالمردة والجان والعمالقة والغيلان إلى جانب تناوله الحياة الاجتماعية في تلك الفترة من الزمن... وهذا الكتاب يقدم للقارئ معلومات مفيدة ومثيرة.(٢٥)

إضافة إلى إمارة "بوتان" التي احتضنت الآداب واللغة الكردية وسارت بها إلى مراتب عالية، علينا أن لا نغفل أمر الإمارات الكردية الأخرى مثل إمارة: أردلان، وبابان اللتين ساهمتا مع إمارة " بوتان" في أداء دور عظيم في مجال تطوير الأدب واللغة والسعي بهما إلى الكمال... من هذه الإمارات إمارة "بابان" التي كانت تقع في رقعة من الأرض التي تعرف اليوم باسم "العراق". وقد ظلت هذه الإمارة أقوى الإمارات منذ عام ١٥٠٠م حتى عام ١٨٥٠م وكان لها أبلغ الأثر في سياسة الدولة العثمانية كما كان لها إسهام كبير جداً في آداب اللهجة الكردية الجنوبية (اللهجة الصورانية) ولغتها.(٢٦)

إن مدينة "السليمانية" التي كانت هي مركزاً للعلوم والآداب والثقافات في غابر الأيام هي اليوم أيضاً أهم مركز للأدب والثقافة والعلوم والفنون... تكثر فيها المدارس والمعاهد والجامعات ودور العلم.. وهي موقع تجاري هام تنشط فيها الحركات التجارية تأتيها الوفود والسياح والزوار.. تتمتع بحرية مطلقة واستقلال داخلي.. وبفضل تلك الآداب والثقافات من علوم ولغات بلغت هذه المدينة تلك الدرجة الرفيعة من الحضارة والرقي. وضمن رقعة الأرض البابانية (إمارة بابان) نشأت مدرسة خاصة بلغة الجنوب أيْ "الصورانية" على غرار تلك المدرسة التي نشأت في إمارة "بوتان".

وبريادة شعراء وكتاب مثل نالي (١٧٩٧-١٨٥٥)م، وسالم (١٨٠٠-١٨٦٦)م، وكردي (١٨٠٣-١٨٤٩)م وقعت جميع أرجاء كردستان تحت تأثير هذه النهضة التي تحدثت عنها.(٢٧)

إنّ الشاعر "نالي" و"سالم" من الكتاب الأكراد الخالدين، كان هذان الكاتبان الشاعران صديقين حميمين تربطهما وشائج متينة من الصداقة، وكان كل منهما يقيم في مكان بعيداً عن الآخر، يثابران على تبادل الرسائل شعراً.

ولدى دراسة آثار هذين الشاعرين نجد أن "نالي" قد أرسى قواعد شعره على صعيد مشاعره وتجاربه الشخصية ولغته ثرة وغزيرة، مترعة بالرموز والإيحاءات. وقد كان "نالي" مؤمناً بتوحد الأكراد وتضامنهم وكان يسعى إلى تحقيق ذلك. ويتمنى بكل صدق وحرارة أن تنهض إمارة "بابان" بدور قيادي في توحيد الأكراد. إلا أن أحلامه لم تثمر، وبسبب الضغوط غادر وطنه وهاجر إلى بلادٍ غريبة، وعاش في المنفى... في دمشق واستانبول وفي مكة ومات في بلاد الاغتراب، من بلاد المنفى كان يراسل خلّهُ وصديقه "سالم" بشعر على غاية من العذوبة والطلاوة، وقصائده هي أجمل شعر كتب باللغة الكردية دون مراء. وكان شعره ينضح بلواعج وأحزان ولهفة شاعرٍ نفي عن أرضه، زاخراً بالآمال الجسام والدعوة إلى غايات ومقاصد

شريفة ميمونة، يضجُّ بالصراخ والتمرد على الحياة البائسة المشردة، حافلاً بالتحريض على مواجهة الطغاة والظالمين وكسر شوكتهم والتصدي لهم بكل بأس وعنفوان والثورة على طغيان الدولة العثمانية وجبروتها، مليء ببلاغة وعذوبة لا حدّ لهما، طافح بالمعاني الأدبية الشفافة وبالمشاعر الإنسانية وأحاسيس الصداقة.. فكأنما أبيات تلك القصائد درر ولآليء منظومة براقة... ونجد في ردود الشاعر "سالم" أسلوباً رائعاً في التعبير عن خبيئة نفسه من الشوق والحب والعواطف الجياشة التي يكنها لصديقه في بلد المنفى.

ومن غير هذين الشاعرين ظهر شعراء وكتاب بارزون جديرون بالذكر وعلى الجهات الأدبية الإعلامية إيراد أسمائهم في تاريخ الأدب الكردي مثل: حاجي قادر كويي (١٨١٧-١٨٩٧)م، والشيخ رضا طالباني (١٨٣٦-١٩١٠)م، و وفائي (١٨٣٦-١٨٩٢)م، وأديب (١٨٦٢-١٩١٧)م، ومحوي (١٨٣٠-١٩٠٩)م. ومن بين هؤلاء الشعراء على المرء أن يتذكر حاجي قادر كويي.

كان الشاعر حاجي قادر كويي من أكثر الشعراء الذين ساروا على نهج أحمد خاني، نباهةً ونبوغاً، فقد أثرى وأغنى اللغة الكردية وآدابها بأفانين شعره وبدائع نظمه وسار بها نحو الرفعة

والسمو. وببلاغة لغته وجزالة قصائده غدا أعظم شاعر باللغة الصورانية (لهجة الجنوب) كما كان أحمد خاني أعظم الشعراء في جزيرة بوتان، ... وبفضل أدبه الرفيع وأحاسيسه الإنسانية والقومية أصبح أكبر وأعظم شعراء القرن التاسع عشر.(٢٨)

في بعض قصائده يتوجه بالسؤال إلى القراء الذين يجدون غضاضة في اللغة الكردية على الشكل التالي:

Kurdî axir bilê çi ye eybî?

Her kelamî heq e, niye eybî?

Ya legel farisî çi ferqî heye?

Bo çi ev rast e, bo çi em kemiye?(٢٩)

هل من عيب في اللغة الكردية؟

وهل بينها وبين الفارسية بَوْنٌ؟

ولماذا تكون تلك صحيحة وهذه معتلة؟

والشاعر الذي يلهج باسم الأكراد في قصائده ويكثر من ذكرهم ويتحدث عن تأخرهم عن الحضارة وتخلفهم عن المعرفة هو في كل الأحوال ليس سوى الشاعر: حاجي قادر كويي.

يذكر "أمير حسان بور" في عمله القيم لنيل شهادة الدكتوراه أن كلمتي "Nûsîn نوسين" و "كتاب Kîtab" وردتا مراراً في قصائد الشاعر حاجي قادر كويي وهما من أكثر الكلمات التي زخر بها شعره. عاش أعوامه الأخيرة في عاصمة الدولة العثمانية حيث اختلط بأفراد الأسر الكردية الكبيرة، وغدا أكثر قرباً من العالم الحديث. وفي هذه الأثناء درّس أفراد الأسرة الكبيرة، أسرة آخر أمراء بوتان. الأمير بدرخان التي كانت تقيم في منفاها في استانبول (كان الأمير بدرخان يقيم آنذاك في دمشق حيث وافته المنية إلا أن أسرته كانت مقيمة في استانبول).

لقد كانت لتجاربه وحياته الجديدة أثر إيجابي عميق في شعره.

أما إمارة "أردلان" فكانت تقع في رقعة الأرض التي يطلقون عليها اليوم اسم "إيران".. وكانت هذه الإمارة من أقوى الإمارات الكردية التي نشأت على أرض كردستان ازدهرت فيها الآداب والثقافات متفوقة على سائر الإمارات في الثقافة والقوة. كثر فيها الشعراء والكتاب وأهل المعرفة. وكان الناس في هذه الإمارات يتكلمون اللغة الكردية (اللهجة الهورامية) وبها كان الكتاب والأدباء والشعراء يدونون كتاباتهم وينظمون قصائدهم، وجميع الأعمال التي كتبت بهذه اللغة (اللهجة الهورامية) تبلغ درجة

عالية من البلاغة والأداء وقد حافظت على قيمتها الفنية وتأثيرها حتى هذه الأيام ولم تفقد منها شيئاً على مرّ الزمن.

كانت اللهجة "الهورامية" هي اللغة الرسمية لدى طريقة "أهل الحق"(٣٠) وهي الطريقة الصوفية الكردية ذات الانتشار الواسع وكثرة الأتباع في إمارة "أردلان". وظلت اللهجة الهورامية لغة أدبية رفيعة في مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر وبقيت كذلك حتى آخر أيام انهيار الإمارة الاردلانية في القرن التاسع عشر. وقد خرّجت هذه الإمارة عدداً هائلاً من الشعراء والأدباء والعلماء الذين يتداولون اللهجة الهورامية. ولا بد لنا من ذكر أسماء هؤلاء الشعراء: البصراني (١٦٤١-١٧٠٢)م، خاناي قوبادي (١٧٠٠-١٧٥٩)م، مولوي (١٨٠٦-١٨٨٢)م وأحمد بكي كوماسي. وأكبر الشعراء الذين كتبوا باللهجة الهورامية هو الشاعر: المولوي. الذي أحبه الأكراد وأعجبوا بشعره إعجاباً كبيراً وحفظوه وتداولوه ونال بينهم حظوة كبيرة وشهرة واسعة، وقد حاز تلك المحبة والتقدير وذيوع الصيت إبّان حياته. وكان عشاق شعره يتمثلون به ويستشهدون بأبياته وينشدون قصائده واسمه الحقيقي هو سيد عبدالرحمن وكان شعره في ميدان التصوف يفوق شعر المتصوفين سمواً ورفعة من بينهم ملا أحمد الجزيري والـ"محوي". ولديوانه سمعة حسنة وشهرة واسعة بين الجماهير الكردية وهو الذي نشر أول مرة بفضل الشاعر

"بيرمرد" في كردستان العراق عام ١٩٣٦م وما زال الناس حتى هذه الأيام يحفظون مواعظه الدينية. وقبل أن توافيه المنية بزمن قصير كفّ بصره ومع ذلك ظل مثابراً على الكتابة والتأليف. إنه بعد اسطوناً من أساطين الشعر الكردي ومدماكاً في أسس النظم.(٣١)

بيد أن هذه النهضة التي تحدثنا عنها قليلاً كان عليها أن تزداد تطوراً مع مرور الأيام (٣٢) إلا أنها –واأسفاه- إنهارت وتداعت للسقوط بعد تمزق أوصال الإمارات الكردية وخلت منها ساحة الأدب.(٣٣)

لقد سبق لنا آنفاً أن نوهنا بأن إمارة "بوتان" كانت أكثر الإمارات الكردية ثقافة وأكثرها اهتماماً بالآداب... هذه الإمارة التي زالت على يد العثمانيين.

في أعوام ١٨٠٠م ظهرت حالة من أحوال اليقظة والإباء القومي والرفض في أنحاء كردستان. ففي تلك الأعوام بدأت الوثبة القومية والتمرد على الظلم في إمارة "هكاري" وإمارة "بادينان" وإمارة "صوران" وكذا إمارة "بابان" (كانت هذه الإمارات مرتبطة بالدولة العثمانية) وإمارة "أردلان" وإمارة "موكري" (كانت هاتان الإمارتان تابعة للدولة الصفوية- الإيرانية). بعد اندحار انتفاضة الأمير محمد الرواندوزي عام

١٩٢٦م بدأت ثورة الأمير بدرخان. كانت إمارة جزيرة "بوتان" تحكمها أسرة "أزيزان" منذ مائة عام وفيما بعد، وكان الأمير بدرخان آخر أمراء هذه الإمارة الذي تسنم سدة الإمارة عام ١٨٢١م.(٣٤) هذا الأمير الذي نشأ وترعرع وهو يرضع لبان الشعر والحكمة من ديواني ملا أحمد الجزيري وملا أحمد الخاني وتشبع فكره وحسه بالمفهوم القومي فجعل نشر هذا الوعي همه الأول ودأب على رأب صدع الإمارات والحاكميات وتوحيدها في دولة واحدة وقوية لمقاومة السلطة العثمانية وزرع هذا الفكر في عقول الأفراد حتى صار جزءاً من حياتهم الاجتماعية والسياسية.

اتصل الأمير بدرخان بأمير "هكاري" نورالله وأمير "موكس" محمود خان واتفق معهم على بعض الأمور السياسية فقويت شوكتهم السياسية والعسكرية في "سرحدان" و "موش" و "قارس" وذاعت دعوتهم في جميع أرجاء كردستان وكادت الأمور أن تستقيم لهم إلا أن أحداثاً وقعت فشب عداء وخصومات بين الأكراد والنسطوريين جعلت الجميع في شغل شاغل. شن الأمير بدرخان حملة شعواء على النسطوريين وألحق بهم هزيمة منكرة. إلا أن هذا الهجوم كان بداية النهاية للإمارات الكردية، لأن الدول الأوروبية استنكرت هذه العملية ونددت بها وشجبتها بعنف ولاسيما انكلترا وفرنسا وألحت هذه الدول على السلطات

العثمانية أن تثأر للنسطوريين، وكانت الدولة العثمانية على كامل الأهبة والاستعداد لمثل هذا المطلب وتبحث عن ذريعة للاعتداء وفي عام ١٩٤٧م جهزت جيشاً جراراً مدججاً بالأسلحة والعتاد واقتحمته في جزيرة "بوتان" فلما تمكنت من الانتصار على الأمير بدرخان الذي كان يُعرف مثل "ملك" لكردستان أرسلته مع أفراد أسرته الكبيرة إلى المنفى. استقرت الأسرة في استانبول واستتب بها المقام أما الأمير بدرخان فقد أبعدته الدولة العثمانية للإقامة في جزيرة "كريت" ومن "كريت" فيما بعد أرسلته إلى دمشق حيث توفي هناك عام ١٨٦٨م.(٣٥)

لقد أدت الأسرة البدرخانية دوراً عظيماً في تاريخ الأكراد الحديث، ولهذا أطلت الحديث عن الأمير بدرخان ونفيه ونفي أسرته. وفي الحقيقة فإن أولاد الأمير بدرخان وأحفاده قدموا للأكراد منافع جليلة في العمل السياسي وفي مجال اللغة والثقافة والأدب وسوف أتحدث عن كل مآثرهم كلما مرّ شيء من ذلك بذاكرتي فقد ظلوا دائبين على تطوير الآداب حتى عام ١٩٧٨م وتركوا آثارهم العميقة الخالدة في بنية الثقافة الكردية وملامحها.

يتضح مما سبق من السطور أن الآداب والثقافات واللغة الكردية كانت تحت هيمنة ثقافات لغات أخرى ومهددة بالضياع والانقراض. وبسبب انقسام البلاد والظلم الواقع على الجماهير

وتمزق الأواصر بين الأفراد وتفكك بنيان المجتمع والاضطرابات الداخلية والخارجية لم تدع للإنسان الكردي فرصة للتفكير في شؤون أدبه وثقافته فما أنشأ الأكراد مؤسسات ومدارس ومعاهد أو جامعات ولم يقيموا دوراً للنشر والطباعة والتوزيع ولم يصدروا صحيفة أو مجلة ولم يستطيعوا –وهذا هو الأهم- أن يزيحوا شعار العزلة ويكسروا طوق التشتت ويخلقوا جواً للتواصل بين الكتاب والمثقفين والمتنورين والفنانين حتى يستطيع هؤلاء الناس مجتمعين بتضافر جهودهم أن ينيروا عقول العامة ويؤثروا في فكرهم.

ولهذه الأسباب- فإن المرء لا يستطيع أن يجد أدباً رفيعاً جداً أو ثقافة عالية في بلد مثل كردستان حيث يعيش الشعب في أحوال بائسة مزرية يرزأ تحت الهموم محروماً من تلقي العلوم والثقافة، والتدوين.

وليس في وسع المرء أيضاً أن يقارن الأدب الكردي بآداب الأقوام الأخرى التي قطعت شوطاً بعيداً في ميادين المدنية والحضارة والاستقلال الفكري.

اللغة الكردية وما يعترضها من المتاعب

عندما يتحدث المرء عن بؤس أحوال الأدب الكردي و وهنه وضعفه فمما لا ريب فيه عليه أن لا ينسى التنويه بالعقبات التي تعترض اللغة الكردية ومثل هذا التنويه لا بد منه للكشف عن أحوال الأديب الكردي المزرية ومعضلاته التي لا يجد لها حلاً.

ولكني- قبل الخوض في هذه القضية- يجب علي أن أعلن بأن الإسلام كان له أثر سلبي في تطور اللغة الكردية ونموّها. وحسب اعتقادي فإن الإسلام كان السبب الرئيسي الذي منع اللغة الكردية من أن تكون لغة كتابة وحال دون رقيها وتقدمها. إن معرفتي بتاريخ الأدب الكردي المدون لها حدود. وحسب ما نعلم فإن القوات الإسلامية-على كره من الأكراد- اقتحمت منطقة كردستان و أقسرتهم على اعتناق الدين الإسلامي في القرن السابع عشر.(٣٦) وبعد الغزو الإسلامي وقعت الثقافة الكردية واللغة الكردية، وكذا الحياة الاجتماعية تحت تأثير اللغة العربية وسيطرتها. لأن لغة الكتاب المقدس "القران" هي العربية وكان تعلم قراءة القرآن من الفرائض وأصبحت اللغة العربية في كردستان لغة القراءة والتعليم فظلت لغة البلاد مهملة وخامدة. أما حين دخل الدين المسيحي البلاد الأوروبية واعتنق أهل تلك البلاد

الدين الجديد الذي كان كتابه المقدس "الإنجيل" مكتوباً باللغة السريانية فلم تتأثر لغات تلك المناطق بغزو الدين الجديد بعكس "القرآن" الذي يجب الحفاظ عليه كما هو دون المساس به لأن التعبد لا يتم إلا بقراءة نصه دون ترجمته. وقد ساعدت ترجمة الإنجيل في توحيد البلاد الأوروبية والنهوض بلغات الأمم الأوروبية فأضحت كل دولة أوروبية ذات لغة متينة مستقلة قوية البنيان. ولم يحدث مثل ذلك في البلاد التي دخلها الإسلام... باستثناء اللغة الفارسية التي استطاعت الصمود إزاء اللغة العربية ردحاً من الزمن. أما اللغة التركية التي كانت لغة أعظم وأقوى إمبراطورية في الشرق لم تستطع الوقوف أمام اللغة العربية، وفي خاتمة المطاف أصبحت اللغة التركية أخلاطاً وأمشاجاً من المفردات العربية والفارسية والكردية. وصارت لغة خاصة عثمانية. وبعد دخول الإسلام كردستان تبدلت أنماط الدراسة والتعليم وتحولت إلى مناهج إسلامية. وأصبحت المعاهد الإسلامية المعروفة باسم "المدارس" بيئة ووسطاً للتعليم. يتحدث ملا محمود البيازيدي بإسهاب عن هذه المدارس وعن العلاقة بين الأستاذ الكبير وهو المدرس الأكبر وبين الملا والفقيه (الطالب المتقدم في العلم) والتلميذ(٣٧) حيث يقول في كتابه وهو يمدنا بمعلومات قيمّة في هذا الصدد.

كانت أماكن التعليم هي المساجد والجوامع وتلك المدارس كانت موئلاً للتعليم والإقامة فيها. وكانت لغة التعليم هي اللغة العربية. وكانت المواد التي تدرّس فيها هي قواعد اللغة العربية، والفقه الإسلامي وقواعد الفلسفة الإسلامية وأصولها، والأبجدية والرياضيات والأحاديث والتفسير. وكانت هذه المواد جميعاً مدوّنة باللغة العربية وقد كان تعلم الكتاب المقدس "القرآن" يبدأ في المرحلة الأولى من الدراسة. كانت إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية والأذكار وكلمات التهاني بالأعياد والمناسبات الدينية جميعها تؤدي باللغة العربية. وكانت اللغة الكردية هي الأداة أو الوسيلة لإيضاح المعاني وتفسيرها وترسيخها في ذهن الطالب ولم يكن لها دور آخر.. أي أن اللغة الكردية كانت اللغة الثانية أو اللغة المساعدة... وكانت ضرورية لهذا الغرض ضرورة قصوى لا غنى عنها. فما كان للمدرس أن يؤدي وظيفته التدريسية دون اللجوء إلى اللغة الكردية التي يتكلمها التلاميذ والطلاب ولا يمكن إيصال المعلومات الدينية إلى أفهامهم إلا بهذه الوسيلة. ولهذا السبب وجدنا بعض العلماء قد تطوعوا وألفّوا كتباً باللغة الكردية شروحاً لتلك الكتب التي تدرّس باللغة العربية. وفي هذا الشأن ألفت كتب أخرى باللغة الكردية. ومن أهم هذه الاسفار قصة المولد النبوي الشريف (مولودا كردي) والمعجم الذي وضعه الملا أحمد الخاني باللغة العربية والكردية "نوبهار" (وقد تقدم

ذكره آنفاً) كما ظهر كتاب للمؤلف ملا يونس بعنوان: تصريف- ظروف- تركيب الذي يبحث في قواعد اللغة العربية.. وبعد صدور كتبٍ أخرى باللغة الكردية في الشروح بدأت اللغة الكردية تنشط رويداً رويداً واستعادت أهميتها وغدت مرة أخرى لغة دراسة وتعليم.

وفي هذه المناسبة ينبغي لنا أن لا ننسى أن في الديانة اليزيدية كتابين مقدسين هما: (مصحفا رش) أي المصحف الأسود، وكتاب (الجلوة) وهما مدونان باللغة الكردية وقد بقيت نصوصهما محفوظة حتى هذه الأيام. وفي وسع المرء أن يزعم هذين السفرين لدى اليزيديين هما كتابان كرديان يخصان اللغة الكردية والمجتمع الكردي في أرجاء كردستان.(٣٨)

ولدى العودة للبحث في اللغة الكردية يتبدى لنا أن اللغة الكردية هي من أصل الـ(هندو-أوربي) وبينها وبين اللغة الفارسية نسب وقرابة، وهي جارة اللغة التركية واللغة العربية واللغة الفارسية ولكن اللغة الكردية لا تمت بأية صلة بهذه اللغات من حيث القواعد النحوية. واللغة الكردية في هذه الأيام لها ثلاث لهجات أساسية، يتم بها التداول كتابة وقراءة ومحادثة وأكثر هذه اللهجات إتساعاً وانتشاراً هي اللهجة الشمالية ثم اللهجة الجنوبية "الصورانية" وأخيراً اللهجة "الدملية- الزازية" وهي تكتب

بالحروف اللاتينية كما في اللهجة الشمالية وبالحروف العربية في اللهجة الصورانية وكذا بالحروف الكِريلية.(٣٩) وقصارى القول فهذه هي الحروف التي تستخدم في كتابة اللغة الكردية.

اللهجة الكرمانجية الشمالية:

قلنا إن اللهجة الكردية الشمالية أكثر إتساعاً وانتشاراً من سائر اللهجات الكردية، فهي الدارجة في عموم أنحاء كردستان تركيا وبها يتكلم الأكراد في سوريا وفي بعض المناطق من كردستان العراق وكردستان إيران. والجاليات الكردية المنتشرة المقيمة في جمهوريات الاتحاد السوفياتي (سابقاً) وتقصد بها أرمينيا وجورجيا و أزربيجان وتركستان تتحدث باللغة الكردية بهذه اللهجة... كما أن أهم الكتب الأدبية ودواوين الشعر وجميع الأعمال الكتابية جرت كتابتها بهذه اللهجة. وقد ظلت هذه اللهجة طاغية في مجال الكتابة والتدوين، متمتعة بأثرها العميق حتى التاريخ الذي تجزأت فيه كردستان وتأسست الجمهورية التركية الحديثة. من الشعراء الكلاسيكيين "التقليديين" الذين نظموا شعرهم، بهذه اللهجة: علي الحريري، والملا أحمد الجزيري، والملا أحمد الخاني وقد أجاد هؤلاء قول الشعر وأبدعوا فيه وقدموا أدباً رفيعاً ورسخوا حب اللغة وعشق الوطن في النفوس وجعلوهما جزءاً من حياة الناس.

"ينبغي للمرء عند البحث في اللغة الكردية أن لا ينسى التحدث عن لغات المنطقة.. الفارسية والعربية. فقد كانت اللغة الفارسية لغة أدب أنيق في إمبراطورية قوية شاسعة الأرض، بعيدة الأطراف.. والعربية التي هي كانت لغة الكتاب المقدس "القرآن" الكريم.

اللهجة الكرمانجية الجنوبية:

واللهجة الصورانية "لهجة الجنوب" يتحدث بها غالبية الأكراد في معظم مناطق كردستان إيران والعراق. وأكثر الأعمال الأدبية تكتب بها وتطبع وتنشر.

اللهجة الدملية "الزازية":

يتكلم بها الناس في المناطق الجبلية من كردستان تركيا مثل: "ديرسم" و"جرموك" و"بيران" و"بنكول" و"أرزنجان" وسواها. وهذه اللهجة من أقرب اللهجات الكردية إلى اللهجة "الهورامية". واللهجة "الزازية" لم تغدُ في يوم من الأيام لغة أدب رفيع مكتوب. وليس في هذه اللهجة –حيث يمكننا القول- أعمال مدونة ذات بال سوى بعض الكتب المتفرقة التي تبحث في أمور الدين.. إلا أن الأكراد شرعوا منذ عهد قريب يكتبون وينشرون أعمالهم بهذه اللهجة.

والحروف التي تكتب بها اللغة الكردية هي الحروف اللاتينية في كردستان تركيا وفي سوريا، وفي العراق وإيران يكتبها الأكراد بالحروف العربية، وبها كانت تكتب اللغة الكردية في سورية في ردح من الزمن أما في كافة الجمهوريات السوفياتية فيكتبها الأكراد بالحروف الكريلية "التي تكتب بها اللغة الروسية".

ولا شك في أن سبب هذا الوهن والأوضاع البائسة هو انقسام بلاد كردستان. وقد كان الأكراد مضطرين لكتابة لغتهم بحروف اللغة الرسمية في الدول التي يقيمون فيها كإيران وتركيا والعراق وسوريا. ولما كانت اللغة الكردية منتمية إلى لغة الـ"هندو-أوربية" لم توائمها الحروف العربية، ومع ذلك فقد كان الأكراد مقسرين على كتابة لغتهم بالأبجدية العربية. وبعد أن لقيت الأبجدية اللاتينية قبولاً في الجمهورية التركية الحديثة بدأ الأكراد يستخدمونها في كتاباتهم.

ومن تلك العوائق التي تعترض سبيل تطور اللغة والآداب تمزق البلاد وتبعثر أبنائها. إننا لو غضضنا الطرف عن جور الجائرين واضطهاد المحتلين وألوان الظلم الواقعة على الأكراد فإن انقسام البلاد يحول دون التواصل بين الكتاب والأدباء والمثقفين الأكراد الذين يعيشون في أنحاء متفرقة من كردستان

المجزأة ويمنعهم من تداول الآراء ووضع خطط ومناهج لترقية أدبهم... ففي هذه الأيام يعجز ثمانية وتسعون بالماء من الأكراد في كردستان تركيا من قراءة الأدب الكردي المدون بالأبجدية العربية أو تلك الكتابات المدونة بالحروف الكريلية... وبالنسبة لأكراد إيران والعراق وسوريا فإن الآية مختلفة أي أنهم عاجزون عن قراءة الحروف اللاتينية والحروف الكريلية، وباختصار فإن الأكراد هم في خاتمة المطاف غير قادرين على نشر آدابهم التي كتبت بشق النفس. في جميع أرجاء كردستان وتداولها. أليس هذه الوضع مأساة إنسانية؟.

ولكي تكتمل ملامح هذه اللوحة المأساوية، علينا التحدث عن الجور الذي يقع على اللغة الكردية.. وعلاوة على تجزؤ الأرض وتفرق الكلمة واختلاف اللهجات فإن الطامة الكبرى تكمن في الاضطهاد الذي يأتي من المحتلين المستبدين...

إن هذا الإرهاب والتعسف يسدان السبل أمام اللغة لإنشاء أدب جزل قوي السبك عالي الجودة. واللغة الكردية تعرضت في الدول المحتلة للحظر والقمع.

وبعد انقسام كردستان وقيام الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م اشتد الحصار على اللغة الكردية ومنعت من التداول بها منعاً

باتاً. وما زالت الحكومة التركية منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم تمارس سياستها الجائرة في حق الأكراد.(٤٠)

لهذه الأسباب مجتمعة فإن الأدب الكردي المدوّن لم يصل إلى تلك المكانة المرموقة بين الآداب ولم يبلغ ذاك الثراء الذي كان سيبلغه لو لا هذه المعوقات. "إن الوهن في هيكل النثر الكردي يبدو للعيان أكثر وضوحاً وجلاءً".

إن هذا الأدب يتأرجح في الصراع بين البقاء والفناء، فإذا ظهرت أعمال أدبية كان علينا أن ندرك كم عانت هذه الأعمال من المشقة.

ومما يؤسف له أن اللغة الكردية التي يتحدث بها أكثر من عشرين مليون نسمة ما تزال آدابها في أسوأ حال.

الأدب الكردي الشفهي-
بداية الأدب المدوّن النثري

قلنا إن الأدب الكردي لم يبلغ ذاك الشأن البعيد من السمو، يعكس الأدب الشفهي الرائع الذي بلغ الذروة في البلاغة والأداء والخيال وازدهر ازدهاراً كبيراً. ان معاناة الاضطهاد مدى مئات الأعوام والحرمان من المعرفة وتلقي العلوم والتهجير القسري والاعتقال والنزعات العشائرية كل ذلك جعل الأدب الشفهي أسلوباً ومنهجاً أساسيين في سرد الرواية.(٤١)

يقول باسيل نيكيتين في بحثه القيّم: إن الباحث في الأدب الكردي يجد في الأدب الشفهي "الفولكلور" الكردي منبعاً غزيراً وأهم الأمور التي تلفت النظر".(٤٢)

يبدو لنا أن الأكراد ليسوا قوماً قارئين أو كتاباً، يؤمنون بالأحاديث أكثر مما يثقون ويؤمنون بالكتب والأسفار، وقد ظلوا مرتبطين بالأدب الشفهي.. لذلك يجب على كل باحث في الأدب الكردي أن يعود إلى الأدب الشفهي يقف متأملاً متمعناً. إن الأدب الشفهي لا يعيد الزمن الغابر والأيام المنصرمة إلى البال أو هو مرتبط بالماضي وحسب بل هو أدب حديث متجدد حيناً بعد حين

يزداد رصيده كلما مرت الأيام. وعن طريق هذا الأدب نحصل على ذخيرة من المعلومات عن الشخصيات والتاريخ والثقافة والعادات والأعراف القومية والإحساس بالتوحد.

يتحدث باسيل نيكيتين مرة أخرى عن هذا الفن على الشكل التالي:

"عندما يتحدث المنشد الكردي في أغنيته عن انتصار: "يزدان شير" أو عبدالرحمن باشا، فإنه في الوقت نفسه يتحدث باسم الانتمائية الكردية عن الصراع بين الأكراد وأعدائهم، وفي سرد الذكريات يتحدث عن رغبات الأكراد ومطاليبهم ويوقظ فيهم الأحاسيس القومية. إن الروايات الشفهية مازالت منذ مئات السنوات تنقل الأغاني والأناشيد والأساطير والحكم والأمثال إلى الأجيال الناشئة جيلاً بعد جيل دون انقطاع ودون أن تتعرض للنسيان والضياع وهذا اللون من الأدب يتضخم رصيده يوماً بعد يوم ويزداد ثراء بما يضاف إليه من الأحداث الجديدة.

والأدب الشفهي في الحقيقة هو الأسلوب والطريقة (٤٣) للرواية الثقافية بين الناس. ولهذه العلة نرى فن الرواية والإنشاد في أعلى الدرجات في كردستان... وفي كل إرجائها يكثر المنشدون والرواة. وهؤلاء المنشدون الذين يجهل معظمهم القراءة والكتابة يطوفون ويتجولون في القرى ويجوسون في كل

الأمكنة يعيدون الأيام الغابرة ويسترجعون الماضي، هم في الوقت نفسه ينصبون أنفسهم شهداء على عالم في طريقه إلى الزوال ويصونونه بكلماتهم البليغة وطرقهم وأساليبهم الخاصة.(٤٤)

إن المغني الجيد هو أعلى منزلة وأسمى قدراً لدى الأوساط الكردية من أيّ "آغا" ومن أيّ "بيك" ثري واسع الثراء وأعظم منهما شهرة.

لكل عهد ولكل دور من الأدوار يوجد مغنون يتمتعون بالشهرة وجلال القدر. ووجودهم حالة مستمرة وتقليد دائم من جهة ومن جهة أخرى لكل منهم طريقة خاصة في بناء مدرسته الفنية.

"عفدالي زينكي" هو بطل رويتي الرابعة، وهو منشد أسطوري عظيم الشهرة. قبل أن أشرع في كتابه هذه الرواية سافرت إلى سوريا، مكثت هناك في المدن والقرى، والتقيت بالمغنين "دنك بيز" وأصغيت إليهم وتحدثت معهم وخالطتهم مخالطة جيدة وأقمت معهم ردحاً من الزمن. وبعد هذه الزيارة ازدادت خبرتي بالمغنين وصقلت معرفتي وغدت اكثر شفافية، كل منهم هوميروس زمانه... إنهم معاصرونا.. لهم عالمهم الخاص وثقافتهم الخاصة وفنهم الخاص... إنهم موجودون بين الناس... ومنعزلون عنهم أيضاً... إنهم روح المجتمع الكردي

الممزق الشديد البؤس، المسحوق، المجزأ، يعيدون الحياة إلى الرواية الكردية ويقدمون الثراء إلى المجتمع الكردي. إنهم متمسكون بالعادات والتقاليد... متشبثون بها، ينقلونها إلى الأيام القابلة.

يقول بطل روايتي الرابعة "عفدالي زينكي" لتلاميذه: "أيها التلاميذ... يا أصحاب القلوب الناضرة. أنتم صوت الناس منسجمون متصلون بمهجهم وأرواحهم.. أنتم رسل أحاسيسهم.. تحركوا.. أسرعوا.. أنشروا- مثلي- كلمات الأمس وما قبل يوم أمس... أضيفوا إليها كلماتكم.. افعلوا ذلك حسب مشيئتكم.. انقلوها إلى الزمن الآتي.. الهجوا بلواعج الحائرين بكلماتكم الخاصة ورتلوها وتغنوا بها.. لتكن أغنياتكم منسقة.. اجعلوا هذا الفن خالياً من النواقص والعيوب.. أصغوا إلى الناس.. واهتموا بهم.. كونوا لطفاء في أحاديثكم.. في قيامكم وقعودكم.. احترموا آراء الآخرين.. اعترفوا بأخطائكم وأقروا بهفواتكم لا تقاطعوا محدثاً.. كونوا ذوي صبر وجلد ودماثة خلق وأهل حلم وأناة... تحدثوا في كل ما فيه خير البلاد والعباد وحركوا به ألسنتكم.(٤٥)

في وسع المرء أن يقول إن هذه المواعظ والنصائح التي ألقاها المغني: عفدالي زينكي على تلاميذه هي القاعدة والأسس والمبادئ التي يجب أن يعتنقها المنشد ويسير عليها في حياته

الفنية. ومما لا ريب فيه أنّ راوي القصة (الحكواتي) والمغني هما الرائدان والمعلمان في الأدب الشفهي. جلّ أولئك لا يلمون بالقراءة.. لم يتعلموا في مدرسة ولم يدرسوا في معهد من المعاهد أو جامعة لكن فطنتهم وذكاءهم لا يقلان عن مقدرة جهاز أي كمبيوتر "حاسوب" وقابليتهم وكلماتهم وملكاتهم تضاهي طاقات قائد فرقة موسيقية. إنهم يحافظون على التراث ويصونون القديم ويبتدعون من تلقاء نفوسهم كلمات جديدة يضيفونها إلى ذخيرتهم. ففي جعبة كل من المغني والقاص "الحكواتي" تزدحم مئات القصص والأغنيات والحكايات والروايات، والمغني الحاذق يستطيع أن يسرد جميع تلك القصص والأغنيات في تسلسل بكل يسرٍ وسهولة كما يستطيع أن يأتي بها متداخلة ومتشابكة. ونجد في كلماته ورواياته كثيراً من الحقيقة والواقع وكثيراً من الخيال والأسطورة وكثيراً أيضاً من الرؤى والأحلام والأمنيات. الهدف هو الكلمة.. والكلام المعسول.. الطرفة... والدعابة، والموعظة والعبر والإثارة والنغم واللحن.. وعلى هذا المنوال يكون المغني والقاص رسوليْ التاريخ الغابر وشاهدي عصرهما وممثليْ الأيام القادمة. وهما يؤديان وظائف متعددة، يصنعان البهجة والفرح.. يتحدثان عن التاريخ ويوضحان الأحداث.. ويؤلفان ثقافة وأدباً. ويكونان بعد كل هذا جسراً بين الأمس واليوم.

قام روجيه ليسكو المستكرد الفرنسي عام ١٩٣٠م مع جلادت عالي بدرخان بجولة ضمن سورية (الجزيرة السورية) بحثاً عن القصص والحكايات الكردية ولما التقى بالمغني صبري (المهاجر) مغني عشيرة "حسنان" اقتبس منه كثيراً من الأغنيات والقصص والأساطير ودوّنها وطبعها في مجلدين مستقلين عام ١٩٤٠م ومما أثار دهشته وإعجابه ولفت نظره ذاكرة المنشدون وحافظتهم التي ليس لها حدود وسعة المعلومات التي يدخرونها.

كان المنشد في كل يوم يباغت المستشرق ليسكو بأسطورة جديدة أو ملحمة جديدة يخرجها من "جعبته" بين دهشة الرجل الفرنسي وذهوله يلقيها على مسامعه عن ظهر قلب.. كل الأشياء مكدسة ومتراصة في ذاكرة المنشد يستطيع تناولها كلما عنّ له ذلك أو شاء إلى ذلك سبيلاً.(٤٦) وهذا السفر الذي يقع في مجلدين الذي يضم الحكايات والأغنيات والأساطير يوفر للقارئ معلومات جمة عن الأدب الشعبي الشفهي.

يحتوي المجلد الأول على قصص كردية لها علاقة بالأكراد وقد تكون لها علاقة بأقوام أخرى.. وأكثر الأشياء جاذبية وإدهاشاً هو سلاسة اللغة وانسيابها وسهولة فهمها وحسن أدائها الأدبي. أما المجلد الثاني فزاخر بملاحم كردية شهيرة. وهذه الملاحم تنفحنا بمعرفة عن الشخصية الكردية وعن التقاليد

والعادات والدساتير في المجتمعات الكردية وعن طقوسهم. لا شك أن لغة هذه الملاحم أكثر اندفاعاً ورقة وعذوبة وأكثر رونقاً من نجمة ساطعة في ليلة داجية وأكثر تألقاً.

إن الأدب الشفهي له أسلوبه الخاص ومعاييره ونمطه. لذلك فليس كل منشد يجيد الإنشاد أو الغناء وليس كل قاص "حكواتي" يثقن الأداء ويحسن التعبير.

ولكي يكون المرء مغنياً بارعاً حاذقاً في حرفته عليه أن يتقن أصول هذا الفن ويلم الماماً كبيراً بألحانه وطرائق أنغامه. فإذا لم يستطع المنشد أن يتحلى بهذه الأوصاف أخفق في أداء رسالته الفنية واخفق في أن يكون صاحب مدرسة تخصه. إن شهرة المنشد نابعة من حذقه ومهارته وتمكنه من أداء وظيفته. إن المغني "عفدالي زينكي" الذي تغلب عليه صفة أسطورية كان عظيم القدر صاحب مقدرة فنية كبيرة. وكان المغني الذائع الصيت درويش عبدي فذاً وفريداً في أداء الفن الغنائي وصناعة الكلمة. وكان أحمد فرمان كيكي المطرب الذي تبنته مجلات "هاوار" و "روناهي" و "روزا نو" ونشرت أغنياته على صفحاتها في أعوام ١٩٣٠-١٩٤٠م حينما كانت تصدر وتنشر في سوريا ولبنان. لقد كان صائغاً للكلمة الذهبية الكردية. وفي الأدب الكردي أسماء كثيرة لامعة، خالدة لها شهرتها.

يعلن الباحث:باسيل نيكيتين أن الإنسان الكردي يستطيع العودة إلى سالف أيامه بفضل الأدب الشعبي المسموع "وإلى تاريخه المهدد بالانقراض والضياع". وبفضل الأدب الشعبي الشفهي تخرج شخصيات كردية من عالم النسيان وتظهر في ضحى أيامنا الراهنة في مجتمعاتنا حاملة إلينا الحكمة والتجربة وتأتينا بأخبار الماضي وقصص الغابرين. إن هذه القصص والروايات والأحداث والأساطير والأغاني "أناشيد الحب والغرام-أغنيات المعارك والهزائم، والرقص والأفراح والمباهج" تؤدى إعتباطاً أي أنّ مؤلفيها مجهولون.

ولقد كانت مسائل العشق والحروب والخصومات والصيد والحياة اليومية والصراعات العشائرية والمعارك الدائرة بين الشعب الكردي والمحتلين... كانت هذه المسائل ينبوعاً ثراً للأدب الشفهي..

أبطال هذه القصص والروايات يكونون في الأغلب الأعم أطفالاً أيتاماً مشردين يغدون فيما بعد رجالاً صناديد وأبطالاً لا يشق لهم غبار في ساحات القتال، ويكون لهم شأن كبير. يصارع الفرد من هؤلاء المغاوير سبعة من أقرانه الشجعان ويقهرهم ويتغلب عليهم.. إنهم أصحاب مكر ودهاء يجيدون المراوغة والختل.. بعضهم يأتي إلى هذا العالم في هيئة ثمرة يقطين ثم

يتحول إلى فتى وسيم وقد يكون أميراً... وقد يكون البطلان في هذه القصص والملاحم والروايات فتيات فاتنات فائقات الحسن والجمال يسلبن النوم من عيون عشاقهن الفتيان ويأخذن بألبابهم.. ومن الأبطال رجال ذوو ذقون بيضاء مسنون يصنعون المعجزات ويأتون بالعجائب.. فيهم.. أمراء.. وسادة.. وزعماء عشائر وأصحاب نفوذ.. وصيادون.. إنهم وطنيون وقوميون يحاربون الأعداء.. وفيهم نمامون يفسدون العلاقات بين المحبين مثل "بكو".. يفشون الأسرار.. ويبثون سمومهم بين الناس.. إنهم أشخاص خرافيون وأسطوريون كما في آداب الشعوب الأخرى..

وهؤلاء الأبطال في كل الأحوال يحققون رغبات الأفراد وأحلامهم وأمنياتهم بكلمات معسولة رقيقة... وتعبر عن خلجات نفوسهم ومشاعرهم وعن عشقهم ولواعجهم ومسراتهم.. إنهم يمثلون كافة الأجناس والأطياف الإنسانية في المجتمع ويتخلقون بكل ألوان الأخلاق من حسنة وسيئة.. إنهم يتكلمون من معانٍ رمزية كالجبال والأنهار والسيول والوديان والقمر والشمس والنجوم والخيول والصقور والبزاة. إن الجمادات والحيوانات والأمكنة وحتى الأفراد الذين كانوا جزءاً من حياة المجتمع حتى يوم أمس تذكرهم هذه الحكايات والأقاصيص وكأنهم رموز.

من الكتاب البارزين المكافحين الأكراد في "الاتحاد السوفياتي" (سابقاً) حجي جندي صاحب أكبر سفر في المختارات الأدبية الشفهية.. وفيه يتحدث الكاتب عن "الفولكلور الكردي" يقول: "في الأغنيات الكردية يكون بطل القصة والحصان ككائن واحد، يختلط أحدهما بالآخر فلا يكادان ينفصلان أو يفترقان... إنهما متحدان في أوقات كثيرة، كل مرتبط بقرينه.. فإذا مات أو قتل صاحب الحصان في الرواية جيء بالحصان وشدّ إزاء باب منزل الحِداد (العزاء) تقديراً للميت الراحل وإكراماً له. وحينئذ يبدأ المغني في سرد نعوت البطولة والمروءة والشجاعة على الحصان وصاحبه ويطنب في الإطراء والمديح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.(٤٧)

ومما يلفت الانتباه –من جهة أخرى- أن المجتمعات برمتها تسهم في تأليف الأغنيات وتضيف إلى أغاني القدماء كلمات جديدة ومعاني مبتكرة. والنساء أيضاً كانت لهن دائماً شركة في الغناء وتأليف الأغنية.. وحسب اعتقادي وكما يبدو لي فإن مساهمة المرأة في هذا الفن إلى هذه الدرجة الكبيرة أكسب الأدب الشعبي الشفهي أهمية كبرى وجعله ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمعات. وعدد النساء المغنيات الشهيرات في كردستان ليس قليلاً، كما أنّ بطلات وشخصيات قصصهن وأساطيرهن نساء مثل: "زين" في ملحمة "ممي آلان" و"خجي"

في قصة: "سيامند وخجي".. و"بنفشا نارين" في أسطورة "جمبليي هكاري" وتطغى عليهن صفات من البأس والشجاعة والفضيلة كالأبطال الرجال في هذه الأساطير وينعتن بكل نعت جميل وبهي. فلولا حسن أولئك النساء المغنيات وعذوبة أصواتهن وطلاوة أحاديثهن لما غدت هذه الحكايات أساطير خالدة في ذاكرة الشعب مسافرة متنقلة على شفاء الجماهير.

ومن خواص هذا الأدب الشعبي أنه يعرض لنا أحوال الأكراد بكل دقائقها وتفاصيلها.. وكما هو معلوم فإن الدين الإسلامي بعد دخول الإسلام البلاد كان أثره عميقاً فتبدلت المفاهيم وتغيرت العقائد وهيمنت النظريات الإسلامية على الأفكار وصار كل شيء إسلامياً تطغى عليه الصبغة الإسلامية. إلا أن هذا الأدب الشعبي استمر في أداء وظيفته وحافظ على شخصية المجتمع الكردي وظلت كما هي دون أن تتأثر بالمؤثرات الجديدة. ومن المفيد هنا أن نتطرق إلى ملاحظة من ملاحظات باسيل نيكيتين يقول: "يوجد في كلمات الأدب الشفهي الكردي ضرب حرٌ ومستقل من النغم واللحن حتى يستطيع المرء أن يزعم أن في هذه الكلمات طاقة هائلة من التعبير". ويقول باسيل نيكيتين: إن موسيقى الكلمات الكردية وألحانها مختلفة عما في العربية والفارسية.

"لقد ظل الشعر العربي والفارسي رهين قواعد صارمة، حبيس شروط قاسية من النظم والوزن أما الشعر الكردي فليس كذلك، فهو ليس أسير هذه النظم والقوانين الجامدة. أي أنه حر طليق.. ويستنتج من ذلك أن ما نجده من الحرية والاستقلال والانعتاق من كل قيود النظم والقافية وسواهما، ينعكس على الشخصية الكردية القومية.

إذا تأمل المرء أحوال الأكراد وتأملها تأملاً دقيقاً وسأل نفسه: عن سبب إخفاقهم وتقاعسهم عن تأسيس دولة. فعليه عندئذ أن يلقي نظرة على الأدب الكردي الشفهي.

"إن الأكراد أشبه بشعرهم الذي لم يتأثر بمدارس الشعر الحديث وظل في عزلته... كما ظل الأكراد في تبعثرهم تتنازعهم الأهواء والخصومات العشائرية ومكثوا في قوقعة سياستهم الموسومة بالأنانية وحب الذات ولم يرتقوا إلى صعيد من الحضارة والرقي ولذلك يبدو لنا أن أنظمتهم وعاداتهم تخالف ما لدى الآخرين من هذه القواعد والأنظمة والعادات.(٤٨)

كثيراً ما يقال: إن أفضل وسيلة لمعرفة أحوال مجتمع من المجتمعات هي الوقوف ملياً لدى الأدب الفولكلوري لدى تلك المجتمعات. وهذا القول صحيح لا غبار عليه، ولكنه في الوقت نفسه يتجه هذا الكلام إلى معنى آخر في الموضوع الكردي وهو

الإلمام بالفنون والعادات لأن المجتمع الكردي يعاني العزلة منذ عهد بعيد ويتعرض لشتى ضروب الاضطهاد وقد نأى الجيل الجديد عن أصالته وهويته ولم تستثمر اللغة الكردية وتقوّم فلم تصبح لغة متطورة وراقية. لذلك فقد ظلت المعاني السامية والبلاغة الأدبية وعذوبة اللغة الكردية كامنة في أعماق الأغاني، مختبئة في أغوار الملاحم القصصية.

وما من ريب في أن هذا الأدب الشعبي هو القاعدة والأساس في النص النثري الكردي المدون. وعلى هذا الأساس رسا الأدب الكردي وترسخ وتفرع.

عندما بدأ الأدب يجنح إلى التدوين وتغيير مسيره، ظهر على الورق أول وهلة بعض الكتابات التقليدية مثل: "ممي آلان"، و"سيامند وخجي"، و" دِمدِم"، و"زمبيل فروش"، و"بنفشا نارين"، و"جمبليي هكاري"، وأصبحت هذه الكتابات نصوصاً أدبية مكتوبة.(٤٩)

ينبغي للمرء أن يدرك بأن ملحمة "ممي آلان" هي أهم الملاحم لدى الأكراد وأحبها إلى قلوبهم. وهم يتداولون هذه الأسطورة ويتناقلونها أكثر من كل القصص الملاحم والأساطير الأخرى. ولا أرى الأكراد مخطئين إذا اعتبروا هذه الملحمة ملحمةً قومية. إن الملحمة الكردية العظمى مم وزين هي في الحقيقة مبنية على

أصول وقواعد "ممي آلان" ورواية "ممي آلان" قصة غرامية مثل رواية "روميو و جوليت". وهي تروى بأسلوبها ولغتها أحداث زمن ضائع وهي الشاهد الوحيد على تلك الوقائع وعلى أفعال ذلك المجتمع القديم وهي –أيضاً- تحمل إلى يومنا هذا الهوية الكردية وشخصية المجتمع الكردي آنذاك.

بطلا هذه الملحمة هما: نجل أمير الأكراد الفتى الوسيم الجريء، الفتى المقدام، ذو القوة والبأس النابه، الذكي "مم" . وابنة أمير جزيرة "بوتان" الفتاة الجميلة، المليحة الحسناء، الباهرة اللطافة والرقة والبهاء ملكة جمال الدنيا "زين"... وفي كل أحوالهما تعيش في بيئتيهما شخصيات إنسانية بكل طيوفها ونزعاتها ورغباتها... تنقل إلينا مفاهيم وآداب وعقائد وسلوك تلك المجموعات البشرية التي حفلت بها أجواء هذين العاشقين في ذاك الزمن الهارب، وهي تضع بين أيدينا كل شاردة و واردة من أيام الإمارة الكردية آنذاك. واللغة التي كتبتْ بها هذه الملحمة لم أجد لها مثيلاً في الأعمال الأدبية التي عثرت عليها من حيث سلاسة اللغة ودقة المعاني ورقة الألفاظ وقوة السبك ومتانة العبارة والبلاغة والبيان، وبسبب هذه اللغة النقية والأسلوب الشفاف قرأت هذه الملحمة "ملحمة ممي آلان" مراراً وتكراراً دون سأم أو ملل. فإذا ضربنا صفحاً عن تلك المفردات اللغوية العربية التي دخلت اللغة الكردية بعد ظهور الإسلام فإنّ لغة

"ممي آلان" هي سيدة اللغات الأدبية الكردية... إنها قصة مفعمة بالآهات والحسرات ولواعج الهوى والغرام... قصة شائقة تتربع على الأوج من التشوق والتأثر فإذا بدأ القارئ بتلاوتها فإنه لا يكف عن التلاوة حتى ينتهي منها. إنها الينبوع الثر والمنهل المتدفق للأدب الكردي. كما ترجمت هذه الملحمة ونقلت إلى لغات أخرى وطبعت، وهي هدية سنية قدمها الأدب الكردي إلى الآداب العالمية.(٥٠)

بعد هذه النماذج الأدبية ظهرت كتب أخرى كتب في شرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والعقائد الإسلامية باللغة الكردية. وأشهر هذه الكتب وأكثرها رواجاً وانتشاراً كتاب "المولد" الذي يروي قصة المولد النبوي الشريف "ولادة الرسول(ص)" الذي ألفه صاحبهُ نظماً باللهجات الكردية الثلاث... والمولْد هو أول كتاب يؤلف ويخرج باللهجة "الدميلية "الزازية" وبسبب ظهور هذا الكتاب باللهجة "الدميلية" وكان جلادت عالي بدرخان يبحث في اللهجة الدميلية. فقد اهتم بأمر هذا الكتاب. يقول:

-"منذ أمد بعيد كنت أتوق إلى التنقيب في اللهجة الدميلية "الزازية" وكنت أسعى بشكل خاص للحصول على كتاب "المولد" الذي ألفه "عثمان أفندي" والعثور على شخص يفهم

ويتقن اللهجة "الدميلية"- السويركيه، ثم القيام بطبعه ونشره، لم يطبع ولم ينشر من الكتب الكردية بهذه اللهجة سوى كتاب "المولد" ولم أرَ غيره مطبوعاً، وربما نشرت كتب أخرى ولكنني لم أشاهدها ولم اسمع بها".(٥١)

يحقق جلادت عالي بدرخان حلمه فيعثر على كتاب المولد ويتصفحه ويتمعن فيه ثم يطبعه وينشره. وبعد صدور هذه الكتب التي تعالج الأمور العقائدية صدرت أعمال شعرية أضيفت إلى هذه المطبوعات وقد تحدثت عنها آنفاً. وعلينا الاعتراف بأن تلك الأعمال إضافة إلى كتاب ملا محمود البيازيدي (١٧٩٧-؟) (عادات الأكراد) كان لها الأثر الفعال جداً في تطور الأدب الكردي وتقدمه.(٥٢)

الأدب الكردي الحديث

من المشقة بمكان أن يستطيع أحد تشكيل لوحة متراصة كاملة و دقيقة عن هذا البحث بسبب انقسام البلاد والضغوط الواقعة على اللغة وتوزع الكُتاب في أجزاء متفرقة من الأرض وتبعثرهم وتعذر التواصل فيما بينهم و وجود المعوقات التي تمنع اللغة من السعي نحو الأفضل. لذلك فلم تتوحد الآداب الكردية في يوم من الأيام ولم يُجمع كُتاب الكردية على كلمة واحدة أو فكرة واضحة. لأن الحدود التي مزقت وحدة الأرض هي نفسها التي مزقت أوصال الأدب الكردي ومزّقت ما بين كُتّابه، لهذا فإنني أرغب في الحديث عن الأدب الكردي تحت ثلاثة عناوين مختلفة... الأدب الذي يقيم أهله في الجزء الذي يرزخ تحت الهيمنة العراقية والإيرانية والجزء الذي يقع ضمن الحدود التركية.. والأدب الذي يمارسه أهله في سوريا والاتحاد السوفياتي.

وقد ترعرع الأدب الكردي في هذه المناطق الثلاث دون أن تتم أية رابطة أوْ وشائج بين أدباء هذه المناطق ودون أن يخرجوا من عزلتهم وكان الأدب الذي نشأ هنا وهناك ذا خصوصية لا

تعُنى إلا بشؤون هؤلاء الأدباء في هذه الرقعة من الأرض أو تلك.

إلا أنه –أي الأدب- في هذه الأعوام الأخيرة ولاسيما بعد عام ١٩٧٠م استطاع إزالة الحواجز وخرج من عزلته، وتحرر من طوق الأسر اذ استطاع الرواد من الكُتّاب والأدباء في كل هذه الأجزاء المختلفة أن يقيموا بينهم جسوراً للتواصل وتبادل الأفكار والآراء وجلب ما لدى الآخرين من الأعمال الأدبية ونشرها والانتفاع بقراءتها. وحتى أوقات قريبة كانت مناطق العراق وإيران تمتلك من طاقات الطباعة ووسائل النشر أكثر مما تمتلكه الجهات الأخرى. والأدباء في العراق و إيران يستطيعون الاطلاع على الأعمال الأدبية التي تنشر في البلاد وفي كل أرض من العالم.. إنهم يجلبون تلك الأعمال ويقدمونها إلى قرائهم... وأكراد الاتحاد السوفياتي لهم دور كبير في تنشيط الحركة الأدبية ولهم اهتمام بطباعة الكتب ونشرها ولا يتذمرون من متاعب. أما الأدباء الذين يعانون حرماناً فهم الذين يقيمون ضمن الدولة التركية وفي سورية لأن طبع الكتب باللغة الكردية غير مباح، لذلك –في أحيان كثيرة يصدر الكتاب في هاتين الدولتين أعمالهم الأدبية في دول خارجية.

ونعتقد أن هذا التقارب والتواصل بين الكتاب في عهد غير بعيد سارا خطوات جادة لتوحيد اللهجات ودمج الآداب وهذا التطور الحديث يكسر صمت السنوات المنصرمة، وينعش الحياة الثقافية والأدبية ويضيف إليها ثراء ونشاطاً وحركة.

ولا بد لنا هنا أيضاً من أن نتحدث عن أحوال بلاد الاغتراب أو بكلمة أكثر وضوحاً وصراحة عن للاد المنفى التي غدت موئلاً وملاذاً للأدب الكردي. وينبغي لنا أن نتذكر صحيفة "كردستان" وهي صحيفة كردية صدرت في القاهرة عام ١٨٩٨م. وبعد هذه الصحيفة صدرت صحف أخرى في أعوام ١٩١٠-١٩٢٠م في استانبول. ونشرت الأعمال الكردية "الكلاسيكية" أول مرة في المنفى. وقد كانت المراكز والعواصم الكبيرة مثل دمشق وبيروت والقاهرة وبغداد والمدن الكبيرة في أوروبا- مقراً وملجأً دائمين لنشاط الكتاب والمثقفين الأكراد مع أنهم كانوا راغبين عن هذه الحياة الكئيبة المترعة بالتفجع والتحسر والآلام... هل كان في وسع الأدب أن يتنفس ويطمئن إلا في خارج البلاد. لأن الأدب وأهل الأدب يعيشان في كردستان في حالة من القمع والإرهاب. وحسب البحث الذي أجريته قبل بضعة من الوقت، فقد تجلى لي أن قرابة /٣٢/ اثنتين وثلاثين صحيفة ومجلة كردية تصدر" في أنحاء متفرقة" ترى كم من هذه الصحف والمجلات تصدر في بلاد كردستان؟ وهذا برهان

آخر على أن بلاد الغربة قد صارت مقاماً ومستقراً للنشاط الأدبي والثقافي والتنويري ولاسيما للللهجة "الكرمانجية" الكردية الشمالية.

منذ عام ١٩٧٠م وحتى الآن نجد نشاطاً هائلاً من الهجرة إلى خارج كردستان بسبب الأوضاع الاجتماعية والسياسية. ولهذه الهجرة حسنات وجوانب إيجابية... حيث يلتقي الأدباء وتتقارب اللهجات وتتجه نحو التفرد والتوحد. كما أنشئت في خارج كردستان مراكز للقاء الكُتّاب ومؤسسات ومعاهد علمية كردية. وعلى الرغم من أن هذه الجمعيات والمراكز والمؤسسات والمعاهد لا تستطيع ان تمثل آداب ولهجات عموم كردستان إلا أنها تمضي بخطوات حثيثة نحو الرقي والسمو.

وهنا أرغب في الإشارة إلى نقطة أخرى وأن ألج عوالم الأدب في كردستان... وأريد أن انظر ملياً إلى الأدب في سوريا وتركيا وإيران والعراق دفعة واحدة لأن الأعمال الأدبية في هذه الأمكنة تكتب بأبجدية واحدة (تستخدم الحروف العربية في كردستان إيران والعراق –اللهجة الصورانية- وفي تركيا وسوريا الأحرف اللاتينية).

وهكذا فإن الروابط الأدبية بين الأدباء والكتاب في إيران والعراق أكثر متانة مما بين الأدباء والكتاب في تركيا وسوريا.

والتحول الذي طرأ على الكتابة الكردية في سوريا كان بتأثير أولئك الأكراد الذين هاجروا من تركيا ولاذوا بسوريا فكان أن بدأت الكتابة بالحروف اللاتينية.

الأدب الكردي في كردستان العراق وإيران

من الملاحظ أن الأدب الكردي في هذين القسمين نال حظه الأوفر من التقدم.. لأن محاربة ومنع اللغة والأدب كانت أقل من الأجزاء الأخرى. ولا سيما أن الأكراد كانوا دائماً أصحاب حق في القراءة والكتابة في القسم الكردي من العراق في فترة الاحتلال البريطاني وبعد جلاء الاحتلال.. وكانت لهم مجلات وإذاعة ومطابع وصحف. ولئن لم يكن الأكراد في القسم الإيراني يحصلون على هذه الحقوق والامتيازات على قدم المساواة مع القسم العراقي، إلا أنهم لم يكونوا محرومين –في أي وقت من الأوقات- من الصحف والمجلات والمطابع. وعلى سبيل المثال كانت هذه الأجزاء والأجزاء التي تقع في وسط كردستان تعتبر أسرة واحدة. لذلك وجد الأدب في هذه المناطق طريقة نحو الترقي.

عند البحث في شأن كردستان العراق علينا أول وهلة أن نتذكر قرار هيئة الأمم عام ١٩٢٥م الذي يعلن عن كردستان واللغة الكردية بشكل رسمي...

منذ عام ١٩٣٢م وحتى عام ١٩٦٠م كانت إدارتان مستقلتان تديران شؤون العراق تحت الانتداب البريطاني(٥٣) وفي هذه

الظروف اختار الأكراد لأنفسهم حكماً ذاتياً داخل العراق فأصبح العراق في هذا الوضع مركزاً هاماً و وسطاً صالحاً أساسياً للنشاط الأدبي الكردي. وحتى ذلك التاريخ لم يكن للعراق أي شأن ذي بال. وكانت استانبول عاصمة الدولة العثمانية مركزاً لطباعة الأعمال الكردية ونشرها. إلا أنه بعد قيام الجمهورية التركية الحديثة ١٩٢٣م هاجر بعض المثقفين والمتنورين من الأكراد من استانبول إلى العراق مثل: توفيق سليماني،(بيرميرد) ورفيق حلمي ومصطفى باشا ياملكي، وتوفيق وهبي، ومحمد أمين زكي وغيرهم من المثقفين والأدباء واستقروا هناك واستتب بهم المقام، وأصحاب هذه الأسماء كانوا موظفين كباراً في الحكومة العثمانية وفي سلكها العسكري، على جانب كبير من الوعي والعلم والتجربة. وعلى هذا المنوال وصل قدر كبير من المعرفة الأدبية الكردية إلى داخل العراق. وبعون من الوجود الإنكليزي تقدم الأدب الكردي وتطورت اللغة إلى الأفضل وبإشراف الانكليز صدرت بعض المجلات الكردية مثل: مجلة "بيشكوتين Pêşkewtin" عام (١٩٢٠-١٩٢٢)م، ومجلة "زيانوى Jiyanewe " عام (١٩٢٣-١٩٣٦)م وجذبت إليها كثيراً من الأدباء والكتاب والمثقفين. وكان لهذه المجلات تأثير واضح في اللغة والأدب. وبعد صدور هذه المجلات بدأت مجلات ثقافية وأدبية وعلمية بالصدور مثل: "دياري كردستان

Diyarî Kurdistan" عام (١٩٢٥)م ومجلة "زاري كردستان Zarî Kurdistan" عام (١٩٢٦-١٩٣٢)م ومجلة " روناك Ronak" عام (١٩٢٥-١٩٣٥)م ومجلة "زين Jîn" عام (١٩٣٦-١٩٦٤)م ومجلات وصحف أخرى.

وهذه المجلات والصحف الصادرة في العراق وصلت إلى الذروة من مراتبها بعد صدور مجلة "كلاويز Gelawêj" عام (١٩٣٩-١٩٤٦)م.

وبفضل الحرية السائدة في كردستان العراق، افتتحت مدارس وجامعات كردية هناك وصدرت مجلات مثل "كلاويز" استمرت في الصدور أعواماً. وتأسست جامعات وظهرت جمعيات ثقافية وأدبية ومعاهد علمية. ففي عام ١٩٢٦م تأسست في مدينة السليمانية جمعية "جمعية علماء الأكراد" و وضعت هذه المسألة ضمن برنامجها:

١-إصدار المجلات والصحف لنشر الثقافة والمعرفة لدى الأفراد في البلاد.

٢-تأليف وترجمة الكتب التي تعنى بالتعليم والتدريس.

٣-افتتاح المعاهد والمدارس حتى يتسنى للناس التعلّم ليلاً نهاراً.

٤-التحضير للأمسيات والاجتماعات والمؤتمرات.

٥-إنشاء المكتبات العامة وافتتاح مكتبات وحوانيت لبيع الكتب وتوزيعها.

٦-إيفاد البعثات العلمية إلى خارج البلاد للتخصص في أصول التدريس ومعرفة "الانثولوجيا- علم الأجناس" والجغرافيا.(٥٤)

وقد تحققت هذه الأهداف إبان الحكم الذاتي، عام (١٩٧٠-١٩٧٤)م لاتحاد الكتاب الأكراد وتمت الموافقة بالإجماع على القرار التالي:

"العمل على تطوير وتحسين الأدب الكردي الموحد، وصيانة خزانة اللغة الكردية والأدب الكردي، وحيازة الوسائل والأسباب لتنشيط البحوث والحركة الأدبية".(٥٥)

ولدى هذا الانتعاش الأدبي والعلمي في هذا الجزء من كردستان تحسن الأسلوب النثري أكثر مما في الأجزاء الأخرى.

وتوجد في العراق وإيران نماذج من النصوص الدينية المكتوبة نثراً أول مرة.

وأولئك الذين اشتغلوا بفن الكتابة النثرية في العلوم العقائدية والشريعة الإسلامية والتصوف، هم:

الشيخ حسيني غازي (١٧٩٠-١٨٧٠)م مستهل القرن الثامن عشر، ومولانا خالد النقشبندي عام ١٨٢٦م كتب "العقيدة" الكردية، وكانت كتاباتهم باللهجة الكرمانجية الشمالية وبعد هذه الأعمال ترسخ فن الكتابة النثرية واتخذ لنفسه مكانة مرموقة. وظل هذا العمل الكتابي الأدبي[١] يتطور حتى عام ١٩٢٠م ويسير على الطريقة التقليدية كالأعمال الأدبية الأخرى وعلى نهجها وإن لاحظنا بعض الفوارق الضعيفة بين اللونين.

إلا أن صدور المجلات والصحف التي أومأت إليها وهبت للأدب الكردي زخماً آخر وانبعاثاً جديداً.. وظهرت الأعمال والكتابات الحديثة على صفحات هذه المنشورات.

وفي مستهل عام ١٩٢٠م شرع الأكراد يكتبون القصة القصيرة ضمن الأساليب الحديثة... وقد أغنت محاولة كتابة النثر القصصي بالطريقة المبتكرة الجديدة- الأدب الكردي. (٥٦)

نشرت القصة الكردية القصيرة عام ١٩١٣م أول مرة. (سأتحدث عن ذلك حين العودة إلى الأدب الكردي في تركيا وسوريا). وأول قصة تمثل اللون الحديث للقصة القصيرة نشرت في مدينة "السليمانية" عام ١٩٢٥م تحت عنوان "le xewma" كتبها جميل صائب. في هذه القصة القصيرة الطويلة التي نشرت

[١] - كجنس نثري.

متفرقة على صفحات "Jiyanewe" ابتداء من العدد /٢٨/ الثامن والعشرين في ١٩٢٥/٦/٢٦م. والكاتب في هذه القصة يلجأ إلى أحلامه متحدثاً بلغة سهلة ومبسطة ليرسم لنا لوحة معبرة عن الأحوال الاجتماعية والأوضاع السياسية في أيام انتفاضة الشيخ محمود برزنجي عام ١٩٢٢م ثم يعرضها للقراء.
وفي عام ١٩٢٦م صدر للكاتب: أحمد مختار جاف كتاب تحت عنوان "قضية الضمير" وكان هذا العمل أكثر أهمية من العمل الذي قدمه جميل صائب. فهو ينظر إلى الأمور بتأمل أدق وتمعن أعمق وأوسع وأشمل.. وقد اقتبس موضوع قصته "قضية الضمير" من واقع المدينة وساكنيها ويضع تلك الأحوال بدقة وتأنٍ بين أيدي القراء، كما تبرز وتطفو على سطح العبارات والكلمات الأوضاع السياسية والدعوات القومية الكردية(٥٧)- يتحدث "هوسمند أوصمان" في أطروحته الأكاديمية عن ذوي الخبرة والمراس من الأكراد واتجاهاتهم وآرائهم ونظرياتهم من أمثال: حسين عارف و مصطفى خزندار وسواهما، ويلقى عليها نظرة فاحصة ومدققة قائلاً:"إن القصص التي صدرت في أعوام ١٩٢٠-١٩٤٠م واهية وضعيفة من حيث البنية الأدبية". ثم يستأنف حديثه:"إن القصص التي صدرت في البداية كانت –كما يمكن للمرء أن يقول- بعيدة عن الأدب الشفهي، تنطوي على مضامين نقدية للأوضاع الاجتماعية والسياسية. فهي من هذه

الناحية قوية ومتينة. وإزاء هذا الأمر صدرت قصص أعوام /٣٠/ الثلاثين القصيرة على أسس وقواعد الأدب الشفهي وينبوعه ثم استطاعت الوصول إلى كافة الينابيع الأخرى.(٥٨)

في كردستان العراق وإيران كانت مجلة "كلاويز" أعظم وأجل محرّضٍ للغة والأدب للسير إلى الأمام.(٥٩) وكان القائمون على تحرير مجلة "كلاويز" التي صدرت وواظبت على الصدور في أعوام ١٩٣٩-١٩٤٩م هم: إبراهيم أحمد وعلاء الدين سجادي، وشاكر فتاح. وعند صدور العدد الأول كان إبراهيم أحمد وهو المسؤول والمدير في المجلة قد كتب مقالاً باسمه المستعار "بله" شرح فيه غاية المجلة وأهدافها وَرَدَ فيها:

"تقويم اللغة الكردية وجعلها ضمن المعايير والمقاييس، حماية الأدب القديم، وبناء أدب كردي حديث، وترجمة كتب قيمة من الآداب الأجنبية إلى اللغة الكردية ونشرها. فإذا لم يكن لدينا حتى الآن أسلوب واضح في المنحى الأدبي فهذا يقع على عاتق المجلة دعوة الكتاب والأدباء لإبداء آرائهم في ماهية هذا التخلف عن الركب".(٦٠)

إضافة إلى البحوث التاريخية والاجتماعية والأدبية والثقافية ساهمت المجلة في الإرتقاء بفن القصة القصيرة مساهمة لا حدود لها... ساعدت المجلة الكتّاب، وخرّجت كتاباً في إنشاء القصة

القصيرة الحديثة.. وترجمت أعمال كتاب أوروبيين.. وعلى صفحاتها ظهرت أفانين جديدة من الأدب، وأثيرت المحاورات.. وهكذا انتصب صرح جديد للكتابة النثرية. وبرزت أساليب متطورة. لقد أهدت مجلة "كلاويز" أدباء كباراً وأعمالاً أدبية باهرة ومدرسة أدبية غنية إلى الثقافة والآداب الكردية.

وبعض الكتاب العظام المرموقين الذين يكتبون لغتهم الكردية باللهجة "الصورانية" ينتمون إلى مدرسة مجلة "كلاويز".

كان جمع الكتاب في مجلة "كلاويز" غفيراً. من هؤلاء محررون ومسؤولون في المجلة مثل: إبراهيم أحمد وعلاء الدين سجادي. وتوفي علاء الدين سجادي في تاريخ ١٩٨٤/١٢/١٣م في بغداد (١٩٠٥)م، وكان معروفاً بأنه أعظم ناقد وأكبر خبير في اللغة وفن القصة في أرجاء الوطن كله. له من الآثار المنشورة التي تركها علاء الدين سجادي كتابه (تاريخ الأدب الكردي) الذي صدر عام ١٩٥٢م في مجلدين وما يزال معيناً غزيراً للأدب الكردي حتى الآن. ومختاراته الفولكلورية في كتاب "Riseyî Mirwarî" من الكتب القيمة في هذا المضمار.

وله بحوث في القصة والروايات والملاحم الكردية جمعها في كتابه "Hemîşe Bihar"[٢] المكتوب نثراً وعلينا ان لا ننسى

[٢] - لعل المعنى هو فاكهة الربيع.

كتابه النثري "Geşt li Kurdistanê". في هذا الكتاب يتناول الكاتب مواضيعه بأسلوب أدبي متحدثاً عن البنية التاريخية الاجتماعية والسياسية والثقافية في مدن كردستان. وكتابه "الثورة الكردية-الكرد- الكرد والجمهورية العراقية" من أهم وأنفس الكتب التي تبحث في تاريخ كردستان، باللغة الكردية.

"كان علاء الدين سجادي محاضراً استاذاً في اللغة والأدب- في جامعة بغداد- قسم اللغة الكردية منذ عام ١٩٦٠م إلى حين وفاته".

وإبراهيم أحمد أيضاً لم يكن مهتماً باللغة والأدب وحسب مثل زميله بل مارس السياسة وناضل وكافح في ميدانها وصار شخصية سياسية ذات شأن. تسلم وظائف ومهمات جسيمة في حركة الدعوة إلى التحرر الكردي ولاسيما بعد أعوام ١٩٤٠م. ساهم في تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق، وبعد فترة وجيزة ترقى إلى وظيفة الأمين العام للحزب.

وفي تلك الأعوام الساخنة ١٩٦٠م-١٩٧٠م التي وصل فيها قمع الحريات في كردستان العراق إلى الذروة شارك زعيم الحركة والحزب مصطفى البارزاني-الخالد وأوقد نار الحرب وقاد المعارك. إنه يقيم الآن في "لندن" موظفاً مسؤولاً عن

المجلة الأدبية الثقافية الفصلية (تصدر في كل فصل).. (Çirîka Kurdistanê).

إننا كما نرى في بلاد أخرى من العالم الثالث أن الأمر الذي يريد إبراهيم أحمد أن يبلغه- على غرار زعماء البلدان الأخرى- هو الكفاح في سبيل عمل أدبي وثقافي وسياسي موحد ودمجه في شخصية قوية من كل أطرافها.. ويمكن لنا ان نقول إن هذه الرغبة وهذا الهدف موجودان لدى جميع المتنورين الأكراد، منذ القديم.

في كردستان-في أحيان كثيرة- قد يكون أصحاب الحركات الثقافية والمتنورون والأدباء رؤساء وزعماء منظمات سياسية وقادة أحزاب... وهكذا تجتمع شخصيات متعددة في شخصية واحدة تحمل صفة الأدب والثقافة والقيادة والسياسة والوطنية. ربما اختار المتنورين هذا النهج لأنهم أرغموا وساروا عليه وعاشوا هكذا.

في أكثر جلساتنا كان إبراهيم أحمد يلقى على مسامعي هذا الحديث:

"في الحقيقة أنا لم أنخرط في العمل السياسي من تلقاء نفسي أو برغبة فيه... فإن التجربة والحقيقة وأحداث البلاد، بلادنا تؤكد أن

الأمور لا تسير ولا يمكن أن تعمل ولن نفلح ما لم نخلط السياسة بالأدب".(٦٢)

كتب إبراهيم أحمد روايته الأولى عام ١٩٥٦م، إلا أنها لم تنشر إلا بعد أمد طويل عام ١٩٧٢م تحت عنوان "زانا كل Jana Gel"، ويسعنا القول إن "زانا كل Jana Gel" هي أول رواية تصدر باللهجة الصورانية. لذلك فهي تُقرأ حتى الآن ويجرى الحديث عنها في كردستان كلها. ومما لا ريب فيه أن رواية "زانا كل Jana Gel" مثل أية رواية تصدر أول مرة لا تخلو من هناتٍ ونواقص فنية أدبية. وهي متوفرة في كثير من اللغات بعد أن ترجمت.

تتحدث الرواية عن بلد ممزق مسحوق بائس محتل لا حيلة له وعن أسرة صغيرة في ذلك البلد "يطلق الكاتب على هذا البلد اسم "الجزائر" وأحياناً اسم "كردستان"... الأسرة مشتتة... عائل الأسرة (الأب) يقع في الأسر فهو رهين السجن لسبب ما منذ عشرة أعوام ونيف مات أولاده وزوجته في مدة غيابه عنهم.. لم يعد الوطن إلا أطلالاً وخرائب... لم يبق فيه حجر على حجر... القرى جميعها مهجورة خاوية... تستمر حرب ضروس ومعارك طاحنة بين المقاتلين المسلحين وبين الغزاة الغرباء.. ما أكثر ويلات هذه الحرب ومصائبها... أثخنت الحرب جروح الأبرياء..

البؤساء المظلومون يحاولون الدفاع عن حياتهم، ويقاومون... الأسر مقطعة الأوصال.. الناس متفرقون مبددون.. ومشردون.. الوطن الذي احتله الطغاة يتقيأ دماً... النضال قائم على قدم وساق لطرد الغزاة وبناء مجتمع آمن سعيد رخي، رضي البال وخلاصة القول فإن الرواية منسوجة لتؤدي هذه المعاني باللغة الدارجة اليومية وأسلوب أدبي سهل.. إن الوطن الذي يصوره إبراهيم أحمد هو نسخة عن وطنه بالذات في أيسر الحالات.(٦٣) ومع أن الرواية ليست كاملة من حيث الفن الأدبي ولم تستوف الشروط لبناء رواية جيدة إلا أنها تلفت انتباهنا إلى معلومات جمة لها وزنها.. والرواية رغم كل الملاحظات جنس من أجناس الكتابة، وقد الممنا آنفاً بأن الكاتب إبراهيم أحمد رجل كتابة وسياسي محترف.

ولكي لا يسيطر الجانب السياسي ويطغى على الجانب الروائي يمضي إبراهيم أحمد بروايته مع كل ما تحمل من تبعات وأحداث إلى رقعة أخرى من الأرض... وبهذه الخطة يضع مسافة بينه بصفته كاتباً وبين ما يجري في الرواية. وأحياناً يمكن للمرء وصف أحداث بعيدة عنه بسهولة أكبر مما لو كانت قريبة منه.

يعتقد إبراهيم أحمد أنه إذا أراد أن تنجح روايته وتنال قسطها من فن الرواية فعليه أن يبقيها في عزلة وفي منأى عنه.

وللحديث عن الشعر الذي قيل باللهجة الصورانية لا بد لنا من العودة إلى عصر حديث يبدأ بنوري شيخ صالح عام (١٩٠٦-١٩٥٨)م إننا نجد شخصيات متنورة ومثقفة تعنى بالسياسة أيضاً... وكذلك نوري شيخ صالح اهتم بالسياسة منذ عهد قريب وهو مواظب على نظم شعر حديث أنيق وعلى كتابة النقد الأدبي. وتجربته الأدبية تستحق الذكر. فقد استطاع بفضل ما يكتب من الشعر الحديث الجيد أن يكون رائداً لأدب جديد قائم بذاته ويصنع لوناً من الكتابة الشعرية لم يتطرق إليها أحد قبله. وهذا اللون الجديد سار بالشعر الكردي إلى مراحل متقدمة. من زعماء هذه النهضة وروادها "بيره ميرد" (١٨٦٧-١٩٥٠)م ودلدار (١٩١٨-١٩٤٨)، و "زَوَر أحمد هردي" و "فائق بيكس" و "كوران".. ولا بد هنا من التحدث عن كوران (١٩٠٤-١٩٦٢)م اسمه الحقيقي هو: عبدالله سليمان.. وهو ولا شك المعلم الأكبر في الشعر الكردي المعاصر... إنه يطعم شعره الحديث بشيء من الأساليب التقليدية فيتولد لديه لون ثالث من صناعته... لقد مارس جميع ضروب الشعر وأنتج جنساً فريداً ليس له مثيل... وساعدت أعماله الشعرية القصيدة الكردية على أن تتبوأ مكانة قريبة من الشعر العالمي وأن تكون على صلة به وترفع الشعر الكردي إلى درجة عالية من الجودة فانساب هيناً ليناً حراً طليقاً.(٦٤) كان لكوران نشاط في السياسة فُسجن مراراً ولبث في السجون..

وبالتغيير اللطيف الجذري الذي أحدثه في صياغة شعره حرر الشعر الكردي من تأثير الشعر العربي والفارسي "الكلاسيكي". كان يسعى إلى إنشاء لغة كردية نقية خالية من مفردات أجنبية وأدب مطلق النقاء. إن كوران الذي كان ملماً بالأدب الأوروبي الحديث كتب شعراً كردياً راقياً ونظم قصائد رائعة.. وبكل وضوح وجلاء نستشف من شعره البليغ الحالة الروحية للإنسان الكردي، لطافة وعذوبة الطبيعة في بلاد الأكراد.. في كلمات رقيقة معبرة وعبارات منمقة.. كان لكوران أثر عميق في رعيله وفي الرعيل الذي جاء من بعده.

ويتجلى أثر كوران جلياً في قصائد شعراء مثل: "هاوار" و"دلزار" وكاكاي فلاح" و"ديلان" وكان " كاميران مُكري" سواهم.(٦٥)

لقد انتشر الشعراء الذين ينظمون الشعر على منوال "كوران" ويسيرون على نهجه في كل أطراف الدنيا ويمضون بالشعر الكردي إلى آفاق مشرقة وعوالم مضيئة.. ولاسيما بعد الثورة (الانقلاب العسكري- برئاسة عبدالكريم قاسم) عام ١٩٥٨م الذي تحسنت فيه أحوال الكرد في العراق.. فتحقق تقدم اقتصادي واجتماعي... وبفضل هذه الكتابات والأعمال الأدبية الحديثة تحسنت أحوال الفنون والابتكارات.

في عام ١٩٦١م بدأت الثورة والحركة المسلحة اللتان ما تزالان مستمرتين حتى الآن.. إن الجيل الذي نشأ بعد "كوران" في أيام الثورة وترعرع يعرفون باسم "جيل الثورة" أو " Post Goran". سار هذا الجيل على خطوات "كوران" في خطوة جديدة.

وصبّ في شرايين الشعر الكردي دماً جديداً فازداد تألقاً وانتعاشاً، وبهذا الرعيل أو الجيل بلغ الشعر الكردي "الصوراني" مرحلة جديدة فقويت بنيته وتعمقت معانيه وأصبح أكثر ثراءً وظهرت فيه المقاصد القومية وتجدد أسلوبه وأهتم بأمور شتى ودخلته مواضيع من الدراما والتراجيديا "المأساة" والسيرة الذاتية. وتغيّر فيه مفهوم الـ"Kurdayetî" "أي كون المرء كردياً" واكتسب معنى آخر... وتحرر الشعر الكردي من عزلته القديمة وحدد العلاقات القومية... وقد ترجمت أعمال ممثلي هذه المرحلة إلى لغات أجنبية. نذكر منهم :"شيركو بيكس" و "لطيف هلمت" و"عبدالله بيشو" و"أنور قادر محمد" و"فرهاد شاكلي" و"رفيق صبري"... ونشرت. واستطاع هؤلاء جميعاً بجهودهم أن يسيروا بالشعر الكردي إلى العالمية وتعريفه إلى كتاب العالم وكل منهم حسب مقدرته يحاول تدوين تاريخ الأدب الكردي.

وعند البحث عن الأدب الكردي (في اللهجة الصورانية) يقفز إلى الذهن ولا شك في ذلك- الأدب الكردي في كردستان إيران ولاسيما مدرسة جمهورية مهاباد الكردية (جمهورية كردستان). ففي عهد الجمهورية نشأ أدب كامل النضوج أي في حضور هذه المدرسة جعل الأدب الكردي بكل لهجاته شامخ الرأس. ليس منا من يجهل مأساة جمهورية مهاباد (جمهورية كردستان). أسست الجمهورية تكتنفها آمال جسام في عام ١٩٤٦م. ولكن مصير الجمهورية بدأ واضحاً عندما اتفقت واجتمعت الدول المنتصرة في الحرب الكونية الثانية على كلمة واحدة وأشاحت بوجهها عن الجمهورية الفتية وآزرت النظام الإيراني وقدمت له العون. وهكذا انهارت الجمهورية وتبخرت الأحلام والآمال. واعتقل مؤسسو الجمهورية وزعماؤها وأعدم الجميع مع رئيسها الشهيد قاضي محمد... وفي أيام الجمهورية القصيرة قامت نهضة ثقافية لا حد لها. وصدرت مجلات وصحف مثل: "كردستان" و "نشتمان" و "هالالا" و "هاوار"(٦٦) وكتبت المسرحيات وألفت التمثيليات وعرضت وأقيمت المسارح والأمسيات الثقافية ومؤتمرات المتنورين والمثقفين وهيمن على الناس جوٌ حيوي واسع من الثقافة، وكان رواد هذه الحركة فئة من المتنورين المتمكنين مثل: عبدالرحمن زبيحي" و"هيمين" و"هزار" و"رحيمي قاضي" وكانوا يعدون على أصابع اليد الواحدة. وبعد

إخفاق الجمهورية ساءت أحوالهم فتفرقوا في بلادٍ غريبة وأقاموا فيها في أحوال بائسة وعيش ضنك واستأنفوا نشاطهم الأدبي وثابروا على العمل السياسي. من هؤلاء المكافحين نتذكر: "هزار" (١٩٢١-١٩٩١) و"هيمين" (١٩٢١-١٩٨٧) و"حسن قزلجي (١٩١٤-١٩٨٥)م ورحيمي قاضي (١٩٢٢-١٩٩١م.

رحيمي قاضي كاتب الرواية الراقية. من أمهات الكتب الروائية التي صدرت في إيران والعراق رواية "بيشمركه" .. كتب هذه الرواية في المنفى عام ١٩٦١م.

إن الكاتب "رحيمي قاضي" هو أحد أقرباء رئيس جمهورية مهاباد (جمهورية كردستان) قاضي محمد(٦٧) كما مرّ بنا آنفاً وقد أخفقت المساعي التي كان "رحيمي قاضي" شريكاً فيها في الحفاظ على الجمهورية ومنعها من التداعي والانهيار... بعد عام تلاشت الآمال المعقودة على قيام هذه الجمهورية التي لم تستمر في البقاء سوى عام واحد فوقعت البلاد تحت نير الظلم والاضطهاد. والقادة والزعماء والمسؤولون الذين استطاعوا الهجرة غادروا البلاد بحثاً عن حريتهم في بلاد غريبة.. وبشتى ألوان المشقة وصل بعض منهم إلى أراضي الاتحاد السوفياتي وسلموا أمرهم للشيوعيين. وكان بين هذه الكوكبة من المهاجرين رحيمي قاضي... ابتعد عن أهله وأقربائه متشوقاً إليهم يهدُّهُ

الحنين إلى خلانه مفعماً بأحاسيس الغربة... وهناك كتب متأثراً باللغة الروسية وغزارتها روايته عن أيام الجمهورية الكردية (جمهورية كردستان) فلما أنجز الكتابة وانتهى من سردها أطلق عليها اسم "بيشمركه" الذي يقدسه الأكراد. الاسم الذي يعني الشخص الفدائي المضحي المحامي عن وطنه منذ مئات السنين الذي كرّس كل حياته لأجل قضية بلاده...

من أساتذة الكتابة النثرية الذين ظهروا في كردستان هو حسن قزلجي.. حسن قزلجي محترف صناع في فن القصة القصيرة الكردية... ولمجموعته القصصية "Pêkenînên Geda" "بيكنينين كدا" شهرة واسعة، وقد ترجمت إلى لغات أخرى وهو أيضاً أي الكاتب من طبقة رحيمي قاضي.. كان مثله بكل معنى الكلمة عاش فترة قصيرة من الرخاء والسعادة وأمضى سائر حياته الطويلة في نكد وبؤس وشقاء. بعد إخفاق جمهورية مهاباد اختار بلغاريا مقراً لإقامته وهناك ألقى عصا الترحال واستقر. وعندما تبدلت الأوضاع في إيران عاد أدراجه فتجسمت آماله، وكبرت أحلامه وسَمَتْ أمنياته ودعواته وبسبب هذا كله اعتقلته السلطات الإيرانية بعد فترة وجيزة وظل معتقلاً رهين السجن حتى عام ١٩٨٤م في سجن إيران الشهير "أفين" وفي العام نفسه قضى نحبه تحت التعذيب في السجن. وعلم الرغم من إقامة الكاتب أمداً بعيداً.. بعيداً عن وطنه فإن جميع شخصيات

مجموعته القصصية من الأكراد. الأكراد الذين يحيون حياة قسوة وتشرد في عمق الوديان أو على التلال أو في أكواخ صغيرة أو الكهوف والمغاور حياة شديدة البؤس لا يملكون إزاءها حيلة. فهم معزولون عن العالم يعيشون على هامش الإنسان والإنسانية.(٦٨) والكاتب يرسم بقلمه وفنه صورة واضحة عن حياة أولئك البؤساء ويضعها نصب أعين القراء.

أما "هزار" و "هيمين" فهما فارسان من فرسان الشعر لا يشق لهما غبار... وبدل أن يهاجرا إلى دول نائية أسوة بزملائهما ورفاقهما توجها إلى العراق وإلى كردستان العراق، ومكث الاثنان هناك حتى أواخر عام ١٩٧٠م... استلم "هزار" مراكز ووظائف كبيرة في حركة تحرير كردستان العراق، وظل صديقاً حميماً للزعيم الخالد ملا مصطفى البارزاني... وما زلت أذكر ذلك اللقاء الذي جرى بيني وبينه في باريس عام ١٩٨٥م وكأنه كان يوم أمس (كان قد حضر إلى باريس للاستشفاء). قال في أثناء الجلسة:

"إنني أنظم كل سنة قصيدة بمناسبة رحيل الملا مصطفى البارزاني أكتب شعراً كل عام لصديق راحل... تأثرت بكلامه وهذا الشعر- بعيداً عن السياسة والاستعراض السياسي- مليء بالدفء والحرارة، زاخر بالعواطف الجياشة تجاه صديق مات،

كتب إحياء لذكراه... فيه تتجلى شخصية "هزار" ودفق إنسانيته وعذوبة معانيه وطلاوة ألفاظه وعباراته.

لقد ألف الشاعر "هزار" علاوة على ديوانه الرائع معجماً كبيراً في اللغة "الكردية- الفارسية" وطبعه وأخرجه في مجلدين كبيرين. كما أنه أعاد النظر-على غرار الشرفنامه- إلى "مم وزين" وديوان "ملا أحمد الجزيري" وقدم لهما تعريفاً، وكتب لهما شرحاً وافياً موسعاً ونقلهما إلى كردستان وقبل رحيله ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الكردية... لقد كان "هزار" في عطائه يضاهي عطاء مؤسسة وأكاديمية للثقافة رغم قسوة الحياة ورغم أحواله البائسة.

والشاعر "هيمين" أصبح صانع شعر رقيق مبتكراً فنوناً في نظم القصيدة الإنسانية ورائداً لها.

وفي وسعنا أن نقول: إن "هيمين" رائد القصيدة الرومانسية الكردية. في عام ١٩٧٩م عندما حرر الأكراد كردستان إيران التقيت بهذا الشاعر في مهاباد فكان يتحدث دائماً عن مسؤوليته تجاه اللغة الكردية وأنه يكتب انطلاقاً من هذا الإحساس بالمسؤولية وقد أصدر ديوانين ضمنّهما شعره الخالد المبتكر، ولا نعتقد أن شاعراً من الشعراء أجاد وصف التشرد والحرمان في

ديار الاغتراب كما أجاده "هيمين" وأبدع في تصوير الحياة فيها. وفيما يلي رباعيته التي أودع فيها تجاربه:

Derdî dûrî, derdî dûrî kuştimî

Derdî wişyarî sebûrî kuştimî

Yadî yaran û wilatim roj û şew

Lê heram kirim qerar û xurd û xew.

قتلني هم الغربة

أماه- لقد حرّم عليّ الأحبة والوطن

الراحة والمطعم والرقاد.

وأريد هنا أن أختتم الحديث عن الأدب والثقافة في هذين القسمين من كردستان- وقد سبق لي أن تحدثت عنهما بإيجاز- بأحداث عام ١٩٧٠م. ففي عام ١٩٧٠م حصلت كردستان العراق على حكم ذاتي رصين، متوازن، يحمل كل الشروط والمواصفات، في السياسة والإدارة. فاستغل الكتاب ورواد الأدب وكبار المثقفين الفرصة في هذا الوضع الجديد القائم فانكبوا على التأليف والنشر وترجموا آداب الدول المجاورة: العربية والفارسية والتركية إلى اللغة الكردية ونشروها في كردستان

العراق... فعرف الناس لوناً جديداً من الآداب لم يكونوا يلمون بها من ذي قبل وجرى الجدل والنقد وإبداء الآراء في موضوعها بين الكتاب والقرار... فنشأ في كل مدينة جمعيات ومجالس أدبية وثقافية ونهض الكتاب والمؤلفون بأعمال جليلة في هذا الميدان. ونشأ جيل جديد من الأدباء والشعراء والمثقفين والمتنورين وتفتحت آفاق رحيبة بين جميع المفكرين والسياسيين والوطنيين وكان لذلك أثر كبير جداً في مجال التعليم والتاريخ الكردي وأضاف هذا الأثر رونقاً وصفاء وجلاء على الحياة العلمية الجديدة. سبق لي أن نوهت بأسماء الشعراء البارزين الرواد من هذا الجيل، أما ممثلو الكتابة النثرية (في الرواية والقصة القصيرة) من هذا الجيل وروّاد الحركة النثرية الجديدة ورموزها فهم:

حسين عارف و رؤوف بيكرد وأحمد محمد إسماعيل ومحمد صالح سعيد ولطيف حميد وأحلام منسير، ومعروف خزنه دار. ولكي لا نسهب كثيراً ونطيل هذا البحث المقتضب فقد اكتفيت بذكر أسمائهم ولن أتطرق إلى أعمالهم وكتاباتهم. وهؤلاء على الرغم من كل شيء وعلى الرغم من ضعف النثر الكردي و وهنه و وجود كثير من الهنات فيه فقد ساروا على نهج قويم وقطعوا أشواطاً يُحمدون عليها. وجدير بنا أن نخوض في البحث عن أعمال وآثار حسين عارف من بين هؤلاء الكتاب جميعاً.

لأنه لم يجتزئ بكتابة القصة والرواية فكتب في النقد الأدبي وكتابه "فن القصة الكردية" ١٩٢٥-١٩٦٠م. كتاب جوهري وأساسي في موضوعه. وروايته الأخيرة "Şaar" يعتبر من الروايات التي تتبوأ القمة في الأدب الكردي الروائي، وهي التي تصور مدينة "السليمانية" تصويراً فنياً معبراً بأسلوب الحداثة الأدبية، هذه المدينة التي كانت دائماً وسطاً رحيباً للثقافة الكردية.

الأدب الكردي في الاتحاد السوفياتي

من المعروف أن زهاء ثلاثمائة ألف كردي يقيمون في الاتحاد السوفياتي في تبعثر وبؤس. والأكراد المقيمون في حدود الجمهوريات السوفياتية نالوا حقوقهم الثقافية بعد ثورة عام ١٩١٧م وظلوا على هذه الحالة حتى أواخر عام ١٩٣٠م في مستهل سلطة ستالين الإرهابية. وفي الفترة الواقعة بين أعوام ١٩١٧-١٩٣٠م أنشئت مدارس باللغة الكردية وكذا إذاعة كردية وصحف ومجلات ودور للنشر. واستطاع الكتاب الأكراد أن يحسنوا أحوالهم ويسيروا قدماً سعياً وراء أدب متزن حقيقي، وهذا التطور الهائل حصل بدعم وتحريض ومؤازرة أرمينة وجورجية، وعلى الرغم من ضآلة عدد الأكراد في الاتحاد السوفياتي فقد ظهر بينهم كتاب وشعراء وأدباء أكثر مما ظهر في الجمهوريات الأخرى. حيث صدرت كتب كثيرة في بحوث عن اللغة الكردية واختلاف لهجاتها وآدابها. وفي هذا المجال صدرت روايات وملاحم وقصص وأساطير وكتب في الأمثال وحكم وأقوال القدماء والسلف فكان ذلك بعثاً جديداً للغة الكردية وإنعاشاً. إلا أن هذا الرخاء لم تكتمل مسيرته ولم تدم هذه الأحوال طويلاً. ففي أواخر عام ١٩٣٠م بدأت هذه المسيرة الثقافية تتعثر

وتكبو وتتراجع بعد قرار "ستالين" السياسي في مسألة "النفي". ونتيجة لهذا القرار الذي أصدره "ستالين" زالت منطقة الحكم الذاتي التي أسست للأكراد، وهُجِّروا إلى المنفى في قفقاسيا وآسيا الوسطى. وفي خضم هذا التطور الايجابي في مجال الآداب والثقافة نتذكر مجلس "مؤتمر""مؤتمر الثقافة والأدب واللغة الكردية" عام ١٩٣٤م الذي عقد في "روان". وعنه يتحدث باسيل نيكيتين على الشكل التالي:

"لقد ضم المؤتمر شمل الأدباء في جلسته المهمة وأرسى قواعده على بناء راسخ و وطيد من الثقافة واللغة والأدب وتعزيز هذا الصرح في خارج البلاد وتوثيق العلاقة والروابط بين الثقافة واللغة والأدب.(٦٩) وقد تباحث المشاركون في المؤتمر، في الأوضاع الاجتماعية والأحوال الثقافية والأدبية واللغوية الكردية في أنحاء "قفقاسيا" واتفقوا بالإجماع على ترسيخ وتثبيت المداميك والقواعد الأساسية لصيانة اللغة الكردية وحماية آدابها والسير بها نحو التقدم والرقي. يقول باسيل نيكيتين مرة أخرى مبدياً رأيه: "لقد حقق المؤتمر هدفاً جيداً وأنجز حلولاً لكل المعضلات والمسائل التي تداولها المؤتمرون".(٧٠)

يقول الشاعر المكسيكي الذائع الصيت: "أوكتافيو باز" مبدياً رأيه الملفت للبال في الأدب الأمريكي اللاتيني على النمط التالي:

"إن الكلمات والعبارات المقتطعة من اسبانيا وأوربا بدأت الآن تمد جذورها عميقاً في التربة وها هو النفي ينمو وينبت ويورق ويزهر".

وهذا الكلام تعبير صادق ينطبق تمام الانطباق على وضع الأكراد في الاتحاد السوفياتي، دون أن يخامرنا أيُّ شك في ذلك. والأدب الكردي إن لم يكن أدب مهجر أو منفى بكل معنى الكلمة في الاتحاد السوفياتي إلا أنه نبت وترعرع وأثمر ورداً بعيداً عن الوطن وعلاقته الحميمة وروابطه به.

كانت ظروفه قاسية وصعبة. وكان رأي الأدب الشيوعي يتمثل في هذه المقولة: "إنه قومي في مظهره صيني في جوهره". كل هذا وذاك كان يسد السبيل ويضع العراقيل والعقبات أمام الأدب الكردي ويمنعه من الانتعاش وإنشاء علاقات بالوطن. وفضلاً عن ذلك كان النظام السوفياتي يؤازر ويساند –دون شك- النظام القائم في الحكومة التركية الكمالية وكان ينظر في شك وريبة. إلى الحركات السياسية والأدبية والثقافية في كردستان وتحسب ممثلي هذه الحركات والقائمين بشؤونها جواسيس وعملاء للامبريالية... ولهذه الأسباب ظل الأدب الكردي الذي ظهر في الاتحاد السوفياتي معزولاً ومنطوياً على نفسه بكل المقاييس والمعايير.(٧١) ولكن هذا الأدب الكردي في "قفقاسيا" نبت وتفرع

وتجذر على الرغم من كل الصعوبات والمعوّقات.. في مجال الكتابة ليس من بون شاسع بين الأدباء في الاتحاد السوفياتي وفي قفقاسيا سوى فوارق طفيفة في مفردات لغوية لا تكاد تذكر وليس بينهما سوى ذلك. والأدب الكردي في الاتحاد السوفياتي يثير الإعجاب والدهشة من حيث التخيّل العميق والوصف الدقيق في الحين الذي حافظ فيه على هويته الكردية وظل موثقاً إلى لغة الوطن.

ولم يكن هذا التطور نحو الأفضل من نصيب النثر وحده أو الشعر وحده بل كان شاملاً لهما جميعاً كما شمل الرواية.

في أعوام مستهل الثورة صدر زهاء /٣٠-٤٠/ ثلاثين إلى أربعين كتاباً. وأكثر هذه الكتب كانت من تأليف: عرب شمو وجاسم جليل وحاجي جندي وخليل مرادوف وقنات كردو و وزير نادر. وكان هؤلاء الأدباء قد عرفوا باسم شعراء وكتاب "ثورة أكتوبر"، ورغم بُعد هؤلاء عن الوطن أضافوا إلى اللغة ملامح زاهية وكتبوا كثيراً وجعلوا كتابة القصة القصيرة ركناً من أركان الأدب الكردي.

إن الشاعر: عسكر بويك أحد الكتاب الأكراد الذين يكتبون أدباً حديثاً في الاتحاد السوفياتي يرى أن هؤلاء الكتاب والشعراء يمثلون المرحلة الأولى في كتابة الأدب الكردي في الاتحاد

السوفياتي،(٧٢) وحسب اعتقاده فإن المرحلة الثانية بدأت عام ١٩٥٠م وفي هذين الزمنين أو المرحلتين يسير تطور الشعر بشكل خاص بخطوات حثيثة. ومن أشهر كتاب هذه المرحلة: شكو حسن، و فريك يوسف، وميكائيل رشيد، وسِمو شمو، و جردو أسعد، و كارلان جاجان، وعلي عبدالرحمن، و رزائيل رشيد. أما المرحلة الثالثة التي ازدهر فيها الأدب فقد بدأت بريادة: توسين رشيد، و سعيد إيبو، وعلي طبري، وجركس رش، وعلي خاني ممي، وعسكر بويك، عام ١٩٦٠م وفي هذه "الثالثة" ظهر تطور جديد على اللغة من حيث التجديد وكذا على الأدب وكان لهذا الجيل من الرعيل الثالث تجارب أدبية مستحدثة وأساليب مبتكرة في كتابة المسرح والقصة والرواية... كما كتبوا- علاوة على الأدب القديم- تجاربهم الحديثة.

في صدد البحث في فن الرواية والقصة نتذكر اسم الكاتب: علي عبدالرحمن ونذكر أعماله: خاتي خانم عام (١٩٥٩)م والأم عام (١٩٦٥م) وقرية الشجعان عام (١٩٦٨)م ومن أعمال حاجي جندي روايته "الاستغاثة Hewarî" عام ١٩٦٧م ومن أعمال سعيد إيبو الذي لقي مصرعه على أيدي أشخاص مجهولين في "روان" عام ١٩٩١م روايته " Kurdên Rewî- ١٩٨١م". ورواية علي عبدالرحمن الأخيرة اقتبست فكرتها من ثورة جبل "آكري" وهي بعنوان "فوق الجبال". والشيخ ظاهر-

الذي كان من زعماء الانتفاضة- أحد أبطال الرواية. والرواية محبوكة عن حياة البطل ويعرضها في مشهد شامل من السياسة والثقافة والمجتمع من مشاهد تلك الأيام.

يقول الكاتب روهات "من الكتاب الأكراد في تركيا" متحدثاً عن هذه الرواية: إن هذه الرواية هي صفحة مهمة وناصعة في تاريخ الأكراد من حيث الأدب والثقافة.

ثم يقول: إن الرواية وإن كانت رواية تاريخية خالصة فإن أحداثها تبدو في كثير من الأحيان أكثر رونقاً وجمالاً بفضل يراع الكاتب وطريقة أسلوبه.(٧٣)

على الرغم من هذه الأعمال والمؤلفات فإنني اعتقد أن الحجر الأساس في هيكل الأدب الكردي في الاتحاد السوفياتي هو ما كتبه وألفه "عرب شمو".

في وسعنا أن نقول إن عرب شمو ١٨٩٧-١٩٧٨م هو أحد رواد الأدب الحديث الكردي في النثر والرواية. شهد عرب شمو عهد ثورة "أكتوبر" وعاش فيها وساهم في بناء المجتمع الجديد ثم لقي فيما بعد من جور ستالين وظلمه ما لقي. وقد أمضى حياته كلها محاولاً مكافحاً ومناضلاً لرفع مستوى العلم بين الأكراد ويخرّج منهم مثقفين وكتاباً... في عام ١٩٣٧م أرسلته حكومة ستالين إلى "سيبيريا" وظل منفياً هناك حتى عام ١٩٥٧م. يقول

عرب شمو في أحد أحاديثه إنه شارك في مد جميع الخطوط الحديدية للقطارات التي نفذت في "سيبيريا" وقضى أهم أيام حياته وأفضل سنوات عمره في العذاب والشقاء والبؤس والحرمان لأسباب تافهة وهزيلة.(٧٤)

كان عرب شمو قد وضع نصب عينيه أهدافاً كثيرة وغايات عظيمة.. منها تدوين الأدب الشفهي والتراث الشعبي "الفولكلور" ووضع اللغة ضمن قواعد النحو والصرف وخلق واصطناع جو أدبي ورفع مستوى الشعور بالإنتمائية الكردية والأهم من ذلك كله تحديث وتجديد الأدب القديم والبحث عن مواضيع واساليب جديدة للقصة والرواية.

إن جميع أعماله الكتابية باستثناء روايته "دمدم" هي سيرة ذاتية... ومن السهولة أن يكتشف المرء طريقة حياته وأحواله ويستشف روحه من خلال جميع رواياته ويرى آماله وطموحه وأمنياته وخاصة في روايته "الراعي الكردي"(٧٥). ولد عرب شمو في قرية من قرى "قارس" في اسرة فقيرة ضعيفة لا حيلة لها عام ١٨٩٧م وأمضى كل أيام حياته في الشدائد والملمات والشقاء. وروايته "الراعي الكردي" المطبوعة عام ١٩٣٥م في "روان" تتضمن جزءاً من سيرته الذاتية. يقول عسكر بويك: قصة "الراعي الكردي" برمتها وصف لحياة الكاتب ثم يتابع

قائلاً: لقد كتب الرواية بلغة نقية شفافة وثرية تحتل فيها لغة المحادثة أساس البنية الروائية.(٧٦) الرواية شعبية تصف طفولة الكاتب وأحداثاً في أيام فتوته. ترجمت الرواية إلى الفرنسية والروسية والعربية[٣].

وقد تفرغ الكاتب الكردي الدكتور نورالدين ظاظا لقراءة هذه الرواية وأعاد كتابتها وصاغها صياغة تطابق اللغة التي كتبت بها مجلة "هاوار". وبفضل هذا العمل حصل الأكراد في تركيا وسورية على هذه الرواية وانكبوا على قراءتها.(٧٧)

وروايته "أكراد ألاغوز"[٤] تبدو وكأنها استمرار ومتابعة لروايته الأنفة الذكر.. لأن المسائل والمواضيع التي طرحت في الرواية الأولى أعيد طرحها في "أكراد ألاغوز" بطريقة موسعة ومسهبة. وبعد عودته من أرض البؤس والتشرد كتب روايته "الفجر" وهي نسخة عن "الراعي الكردي" ولكنها أكثر حرارة وتدفقاً في الأسلوب وأعظم فخامة في المعاني وأكثر توجساً وحذراً في السرد "لعل سبب ذلك هو الرهبة من النظام". ومن جهة أخرى كانت رواية "الفجر" أكثر تأنقاً وتطوراً وتشعر عند قراءتها أن الكاتب كان يحاول أن يسرد الأحداث بأسلوب أدبي.

---

[٣] - ترجمها إلى العربية: توفيق الحسيني.
[٤] - ترجمها إلى العربية: توفيق الحسيني.

موضوع روايته المنشورة عام ١٩٦٩م، حاملة العنوان " Jiyana Bextewar الحياة السعيدة" يتناول هجرة الأكراد إلى قفقاسيا. خشية أن يتعرض الأكراد لمذابح العثمانيين ومجازرهم نزحوا نحو البلاد الشمالية، وهناك أسسوا المجتمعات وعاشوا حياة جديدة، وشاهدوا تغير الأشياء وانقلاب الأمور التي رافقت ثورة "أكتوبر"... وعلى هذه الأفكار والأحداث بنيت الرواية، أي أن الرواية سرد لحياة الأكراد في الاتحاد السوفياتي.

ورواية عرب شمو الأخيرة "هوبو Hopo" الصادرة عام ١٩٦٩م تبحث في الأحوال الاجتماعية بعد حلول الثورة.. روايات عرب شمو تجري في مضمونها الأفكار والاتجاهات التي يسير عليها النظام السوفياتي أي أن عرب شمو يكتب الرواية الملتزمة. ورواياته مكتنزة بالحديث عن العادات والتقاليد الشعبية "الفولكلور" القديمة والحكم والأمثال التي يتناقلها الناس شفاهاً. ويلاحظ الدارس لروايات عرب شمو أنه كان يحاول جاهداً أن يجعل اللغة الكردية أكثر متانة وأقوى سبكاً ويطوعها لمقاييس أساليب الرواية ومعاييرها. إذا التفت المرء إلى الرواية الكردية وعرف ما فيها من علل ونواقص لأدرك كم من الجهد والتعب والكفاح بذله الكاتب عرب شمو في تحسين الرواية الكردية ورأى البون الشاسع بين رواياته والروايات الأخرى.

من بين هذه الروايات- حسب اعتقادي- تجدر الإشارة إلى رواية عرب شمو "دمدم" الصادرة عام ١٩٦٦م فهي أهم الروايات وأفضلها. وقد سبق لي ان قلت: إن الأدب الشعبي الشفهي هو المنبع الغزير الذي لا ينضب، الذي يستقي منه الأدب الحديث. ولهذا لا بد من الالتفات إلى رواية "دمدم". والتوقف عندها وتأملها. رواية "دمدم" ملحمة كردية غارقة في القدم ومنذ مائة عام يتناقل الناس في جميع أرجاء كردستان أحداث "دمدم". ويتكلمون عنها يرويها الكبار للصغار، ينقلها جيل إلى آخر. بعد معاهدة "قصر شيرين" وانقسام بلاد كردستان وقعت قلعة "دمدم" ضمن الحدود الإيرانية. في ذلك العهد ناهضت النظام الإيراني وقاومته مقاومة عنيفة وغدت رمزاً من رموز المقاومة والصمود الكرديين.. وقد حوّل عرب شمو هذه الملحمة إلى رواية في قالب جديد وسرد روائي وحياة روائية. وقد كتب عرب شمو عن حياة القلعة وشخصياتها وأبطالها والذائدين عنها وعن بسالة المقاومة: خاني لب زيرين Xanê Lepzerîn" والأحوال السياسية.. وبعبارة أخرى فقد صاغ عرب شمو هذه الملحمة في قالب روائي وأسلوب روائي. كما تعمد عرب شمو إقحام نصوص غنائية وحكم وأمثال سائرة في هيكل الرواية وجعلها جزءاً لا يتجزأ من الرواية ورصّع بها أسلوب الرواية.(٧٨)

الأدب الكردي في تركيا وسوريا

قلت في مكان آخر من هذا البحث: إنّ النماذج الأدبية السابقة كتبت باللهجة "الكرمانجية الشمالية". واللهجة التي يتحدث بها الأكراد في تركيا وسوريا هي اللهجة الدارجة في الاتحاد السوفياتي وقسم كبير من الأكراد في إيران والعراق. وهذه من أوسع اللهجات الكردية التي يتكلمها الأكراد وأقدم اللهجات التي صنفت بها المؤلفات ودونت الكتب علماً أن الكتاب الكلاسيكيين دونوا بها العادات والتقاليد... وقد صارت هذه العادة أكثر ثراء وغزارة ولاسيما بعد عام ١٩٠٠م.. وتعتقد أن هذا العهد من الانتعاش لم يَحِنْ إلا بعد ظهور صحيفة "كردستان" التي بدأ صدورها في القاهرة في الثاني والعشرين من شهر نيسان عام ثمانية وتسعين وثمانمائة وألف ١٨٩٨/٤/٢٢م، وهذه هي الصحيفة الكردية الأولى التي تصدر؛ ويصبح الأكراد أصحاب جريدة. وفي كل عام يحتفلون بذكرى مولد هذه الصحيفة التي جعلوا تاريخ صدورها عيداً للصحافة الكردية أما في كردستان العراق فإنّ الثاني والعشرين من نيسان عطلة رسمية تعطل فيها الدوائر والمؤسسات الحكومية.(٧٩)

وكان مدير الصحيفة المسؤول مقداد مدحت بدرخان. وقد صدر منها /٣١/ واحد وثلاثون عدداً. كانت بداية صدورها في القاهرة ثم فيما بعد في "جنيف" والقاهرة و"لندن" و "فولكستون" البريطانية ومرة أخرى في "جنيف" واستمر صدورها.(٨٠)

كانت الجريدة تنشر باللغة الكردية واللغة العثمانية "التركية القديمة" وعم انتشارها في كل أنحاء كردستان. وكانت مواضيع الصحيفة في الغالب الأعم ثقافية وفلسفية وسياسية وأدبية وتاريخية. وكانت الصحيفة تنتقد سياسة النظام العثماني نقداً لاذعاً وعنيفاً وتناوئ الدولة وحكامها، وكُتِبَ في هذا المعنى دون هوادة... وكان جل كتاب هذا النقد من المحررين والمسؤولين في الصحيفة.

اهتمت الصحيفة اهتماماً كبيراً بالثقافة واللغة والأدب، فنشرت كتاب الملا أحمد خاني "مم و زين" على صفحاتها في أعداد متفرقة بلغت /٢١/واحداً وعشرين عدداً وازدانت صفحاتها بقصائد حاجي قادر كويي، ونشرت فيها قصائد: أمين عالي بدرخان شقيق مدحت بك و والد ثريا وجلادت وكاميران بدرخان. وتحت إشرافها كتب مقال طويل عن معجم يوسف ضياء الدين باشا باللغة الكردية والعربية (كردي-عربي).. وفي

مجال التاريخ، كتبت مقالات طويلة عن جزيرة ابن عمر.. وعن أسرة الأمير بدرخان وأسرة صلاح الدين الأيوبي...(٨١) كانت لغة الصحيفة لغة شفافة نقية وكان لها أثر عظيم في نفوس الأكراد ومشاعرهم وفي أحوال كردستان. وفي استانبول صارت هذه الصحيفة موضع فخار واعتزاز لدى المهتمين بشؤون الثقافية واللغة.. لقد كانت الصحيفة رسول ثقافة ومعرفة وسفير الروح القومية والوطنية في كل الأوساط الكردية، حملت على صفحاتها عهداً جديداً من الانفتاح والازدهار، ومزيداً من الطموح والتطلع إلى مستقبل مشرق.(٨٢)

لدى صدور "كردستان" انتعشت بشكل خاص أحوال النثر الكردي، وخرجت القصص الكردية القصيرة في ظاهرة استثنائية فتجذرت وتفرعت. ففي عام ١٩١٣م ظهرت في استانبول –أول مرة- قصة من الأدب الكردي باسم (قصة Çîrok) في عددين متتاليين من مجلة "روزي كرد" وكان كاتب هذه القصة فؤاد تمو أحد مؤسسي الجمعية الكردية "هيفي" في استانبول عام ١٩١٢م ومحرراً في مجلة "روزي كرد" وعلى الرغم من كل شيء أصدر أربعة أعداد من هذه المجلة مع أنه بمفرده يتحمل جميع الأعباء وقد ذاع صيته بفضل مقالاته في المجلة وبفضل هذه القصة القصيرة.(٨٣) ويبدو لنا أن محرري وكتاب الصحيفة كانوا يسعون إلى تحسين اللغة والآداب الكردية

تحت تأثير حركة التنظيمات العثمانية ولم يدخروا في ذلك جهداً. و "القصة" خير مثال وخير دليل على جهود بذلوها.. وهذه القصة جديدة وحديثة في أسلوبها ومضمونها وطريقة سردها ومفردات لغتها أي أنها ليست لها سابقة في عالم القصة القصيرة.

تتحدث القصة عن حياة صبي صغير اسمه "شويش" والد "شويش" راع مسكين بائس لا حول له ولا قوة. إنه في العاشرة من العمر. ولكنه طفل ذكي ولبيب لم يعرف له أماً... هو و والده يعيشان في الدرك الأسفل من الحاجة والفاقة.(٨٤)

بهذه الصيغة يبدأ الكاتب قصته فيشد انتباه القارئ ويقسره على متابعة القراءة.. ولكن فرحة القراء لم تكتمل بمتابعة أحداثها حيث لم ينشر من القصة سوى جزء منها في عددين من الصحيفة التي لم يصدر منها سوى عددين.

في إطلالة عام ١٩٠٠م أصبحت استانبول مسرحاً و وسطاً للسياسة الكردية وثقافتها. ها هي مدينة "استانبول" عاصمة الدولة العثمانية، المدينة الأثرية القديمة، مدينة البيزنطيين، الجسر القائم بين الشرق والغرب. قد أصبحت مقراً أساسياً للأكراد ومركزاً لحركاتهم الثقافية والسياسية. مرّ بنا آنفاً أن الدولة العثمانية حاولت بخبرتها وخططها أن تعزل الإمارات الكردية وتجردها من السلاح الحزب "العسكري والسياسي"

وتزيلها وتنهي وجودها، فلما نجحت في سعيها، وهجّرت الأسر والعائلات الكبيرة، أسكنت العائلات الكبيرة جداً، العريقة التي كان لها تاريخ طويل الحكم وإدارة الإمارات الكردية في استانبول وأسندت إليها وظائف عالية في الدولة ومراكز رفيعة.. وهكذا أصبحت تلك الأسر عرضة للأنظار من جهة، ومن جهة أخرى دخلت عالماً جديداً من الحركات السياسية والثقافية والفلسفية والأدبية. وكانت أسر أخرى –سوى هذه الأسر- قد حضرت إلى استانبول واستقرت فيها لأغراض تجارية أو طلباً لتلقي العلوم والدراسة... لقد كانت استانبول "مركزاً" لكل هؤلاء.

في تلك الأيام كانت موجات من الأحاسيس الوطنية والشعور القومي قد ارتفعت... واستفاقت جميع القوميات التي كانت تخضع للدولة العثمانية، ولم يتخلف الأكراد عن هذه اليقظة. ونهض الذين كانوا في استانبول بقصد التجارة أو الدراسة وأصحاب الوظائف الكبيرة في الدولة بالواجب الذي تمليهِ عليهم قوميتهم الكردية. ونشط الوعي السياسي والشعور القومي لديهم فأسسوا –أول مرة- في استانبول جمعية كردية باسم: "كردستان عزمي قوي جمعيتي" (Kurdistan Azm-i Kavi Cemiyeti) (٨٥) وبعد هذه الجمعية تأسست جمعيات أخرى مثل: "جمعية التعاون والترقي الكردية" (Kurd Teaun ve

(Terakki Cimiyeti) ، و (جمعية هيفي "الأمل" لطلبة الأكراد kurt Talebe Hêvî Cemiyeti (Kurd Tamim-i Maarif Cemiyeti), (Kurdistan Teali Cemiyeti). (٨٦) وقد أصدرت هذه الجمعيات والمؤسسات صحفاً ومجلات مثل "كردستان" و"جريدة التعاون والترقي الكردية" و("هتاوي كرد" و "روزي كرد")[٥] و "زين Jîn" وكانت هذه الصحف والمجلات الصادرة باللغة التركية العثمانية واللغة الكردية قد قدمت عملاً جليلاً للثقافة الكردية ولغتها وآدابها. ووسعت آفاقها ومهدت لانتشارها فترسخت أسس وقواعد اللهجتين الكبيرتين لهجة الشمال ولهجة الجنوب. ولا شك أن أهم هذه الصحف والمنشورات كانت مجلة " الحياة Jîn" التي صدرت في خريف١١/٧/ عام ١٩١٨م. ونُشر منها /٢٥/ خمسة وعشرون عدداً،(٨٧) وكان صدورها تحت إشراف وتوجيه من: حمزة بك موكسي وممدوح سليم بك وانلي وعضوية جمعية (Kurt Teali

[٥] - ف-ف مينورسكي وأيضاً ف-نيكيتين يترجمان "نهار الكرد" مثل "اليوم الكردي"، "انظر ف-ف-مينورسكي، الأكراد، ص١٨، ف-نيكيتين، الأكراد موسكو ١٩٦٤م- ص٢٩٠" باللهجة الكردية الكرمانجية تُلفظ كلمتا "اليوم" و "الشمس" بكلمة واحدة "روز". أما في الملاحظة المنشورة باللغة الألمانية في مجلة " Die Welt des Islam" الترجمة لتسمية "نهار الكرد" صحيحة "انظر: Die Welt des Islam, Berlin.1913, Band.I, Heft 3/4, S.221." بعد منع "نهار الكرد" بَدل ناشرو المجلة كلمة "روز" والتي هي باللهجة الكرمانجية بكلمة "هتاوي" بالصورانية وهي تحمل نفس المعنى الأول لكلمة "روز" باللهجة الكرمانجية وذلك تحسباً للمصاعب. المصدر:جليلي جليل "نهضة الأكراد الثقافية والقومية-في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين" نقله عن الروسية: بافي نازي و د.ولاتو و كدر.رابطة كاوا للثقافة الكردية .العدد:٩.بيروت-١٩٨٦.الهامش:ص١٠٠.-المترجم

Cemiyeti) وكانت هذه المجلة تنشر على صفحات مقتطفات من الأعمال الشعرية الكلاسيكية "التقليدية" لشعراء كـ "ملا أحمد الجزيري" و ملا "أحمد الخاني" و "سياه بوش" و "نالي" و "حاجي قادر كويي"، كما كانت تنشر أعمالاً من الكتابات الحديثة لمحرري المجلة مثل: توفيق سليماني (بيره ميرد) و "خليل خيالي" و "كمال فوزي"، و "عبدالرحمن رحمي بك هكاري"، و "عزيز ياموكي"، و"لاو رشيد"، و"حلمي بك صويركي"، و"إحسان نوري"، و"كاميران عالي بدرخان" .

للشاعر توفيق سليماني الذي غدا شاعراً شهيراً فيما بعد (بيره ميرد) شعر رقيق وخلاب، ويخيل إليّ أن عبدالرحمن رحمي هكاري أكبر من جميع الكتاب الذين زاولوا الكتابة باللهجة الكرمانجية، وأرى من الضرورة بمكان أن نتوقف قليلاً متأملين كتاباته الجذابة.. كان عبدالرحمن رحمي يكتب باللغة الكردية واللغة التركية كما أنه أتقن الحوار في السجع الكردي المسرحي وبرع فيه وكتبه بأسلوب عذب ونشره في مجلة "الحياة Jîn" تحت العنوان "ممي آلان". ومن خلال العنوان يبدو لنا أن الكاتب قد نفذ عمله متأثراً بالملحمة المشهورة "ممي آلان" بيد أنه ليس بين العملين أية صلة أو قرابة قريبة أو بعيدة.. فهو يصور في غنائيته الحوارية المسرحية السجعية حياة الإنسان الكردي

وتفكيره وأحاسيسه وموقفه- في عهد صلاح الدين الأيوبي- من الحروب الصليبية.. يقول في مسرحيته:

يأمر من أمير "هكار" بتسلح الأكراد لمواجهة الصليبين ومحاربتهم.. وكان "ممو" متأهباً للذهاب مع المقاتلين لخوض المعركة، والمسرحية تروى لنا الحوار الذي جرى بينه وبين والدته وزوجته التي تأهل بها قبل قليل من الوقت "عروس سبعة أيام" وقد عزم على الخروج إلى الحرب ومغادرة أمه وعروسه على الشكل التالي:

ممو: لقد مرت سبعة أيام على عرسنا

ليتني لا أفارقك

إنني ذاهب لحرب الكفار

فكفى عن البكاء يا ظبيتي

غزال: لقد غدا "ممو" اليوم جندياً

لقد استحال حبنا آهاتٍ

فخذني معك

وإلا فاقتلني ثم اذهب

ممو: كفى عن ذرف العبرات

إن العدو- اليوم- يترصدنا بحقده

يا عزيزتي الغالية

يا حبيبتي.. يا ظبيتي.. كفي عن البكاء.(٨٨)

Memo: Îro heft e, dawet kirî

Xezayê ez ji te kirî

Ez diçime ber kafîrî

Xezala min, delala min bes bigirî.

Xezal: Memo îro bû esker e

Evîna me bû keser e

Tu min bibe digel xwe, here

Yan bikuje, yan bikuj paşê here.

Memo:Tu bes rohnîkan bibarîne

Îro dijmin li me kîn e

Westana min layiq nîn e

Xezala min, delala min, bes bigirî.

وفي وسعنا أن نؤكد أن الأدب الكردي بكل صنوفه وأجناسه سار خطوات حثيثة نحو الكمال بعد الجهود المضنية التي بذلها كتاب ومحررو مجلة "الحياة Jîn". كانت أعوام ١٩٢٠م تمثل عهداً للفراغ والتشوش والعبثية لا يقع في إطار بحثنا لذلك سنتجاوزه ونضرب عنه صفحاً ولا نتطرق إليه. وكل ما في الأمر أن الأكراد لم يحققوا فيها هدفاً ولم يحركوا ساكناً ولكنّ عام ١٩٢٣م كان له شأن كبير لدى أكراد تركيا وسوريا. ففي ذلك العام تأسست الجمهورية التركية وران صمت وركود على الأكراد الذين كانوا منكبين على مزاولة أدبهم ولغتهم.

وكردستان تركيا، وهي القسم الأعظم من مجمل أراضي كردستان، صاحبة الأدب الكردي الكلاسيكي مهد الحضارات في الشرق خمدت فيها كل حركة أدبية وركدت ريح الثقافة ونال الفساد كل شيء بعد قيام الجمهورية التركية الحديثة على أنقاض العثمانيين. وأصاب العقم العقول فلم تعد تثمر أو تزهر. ولم يكن السبب في هذا وذاك إلا تبدل الأنظمة وتغير الحكومات والدساتير والنظريات السياسية.

وفيما قبل عام ١٩٢٣م كان القسم الأعظم من كردستان داخلاً في حدود الدولة العثمانية وكان أصغر الأجزاء تحت الخطوط الإيرانية، وكان ذاك القسم الأعظم –داخل الإمبراطورية العثمانية- يتمتع بحكم نصف ذاتي ضمن إمارات كردية يدير شؤونها أمراء أكراد. وكان يطلق عليه الاسم الرسمي (الأيالة الكردستانية) ولم توجد آنذاك قوانين لقمع اللغة الكردية ومصادرة آدابها أو منعها من التداول. ولم يوجد أي حظر على أهلها، فلما أقام الكماليون جمهوريتهم انقلب كل شيء رأساً على عقب، في الوقت الذي كان الناس يتطلعون إلى عهد جديد من إطلاق للحريات وجلب الرخاء إلى البلاد. لكن الجمهورية الجديدة اثبت سياسة مجحفة وجائرة وغدرت بكل الآمال فأنكرت الوجود الكردي شعباً ولغة وزعمت ما زعمت وجعلت كل شيء يمت إلى الأكراد ممنوعاً ومحظوراً.(٨٩)

لا شك في أن إنكار شعب كالشعب الكردي مهزلة ما بعدها مهزلة.. وتظهر لنا صورة المهزلة أكثر وضوحاً إذا علمنا أن الشعب الكردي من أقدم الشعوب في المنطقة وكبيراً في عدد نفوسه...

وهذا الموقف ليس هزلياً وحسب بل هو وحشي غارق في الوحشية والتنكر للإنسانية. لقد كانت أعوام ١٩٢٤-١٩٣٨م

مكثت فيها البلاد في حرب لا هوادة فيها مليئة بالقتل والإبادة والبطش. ولم يفلح الأكراد في مقاومتهم ولم يستطيعوا أن يضعوا حداً لجور الطغاة في الانتفاضات التي كانوا ينهضون بها حيناً بعد آخر. وكان الأتراك يهزمون هذه الانتفاضات بدعم من الفرنسيين والإنكليز ومؤازرة من بعض الدول المجاورة. وعندما أقبلت الدنيا على مخاوف الحرب الكونية الثانية كان الأكراد قد هزموا، وكانت البلاد قد آلت خرائب وأطلالاً، وكان أكثر زعماء الحركات الكردية قد قتلوا أو أعدموا وكانت البقية الباقية قد ولت وفرت إلى خارج البلاد وبعد هذه الحروب عزلت كردستان وحجبت عن العالم الخارجي. فأتلفت آثارهم وحيل بينهم وبين التعليم. وطُمس كل ما يمت إلى الأكراد بصلة وأحرقت كتبهم وسجلات وآدابهم وتاريخهم وقطعت كل أواصرهم التي تربطهم بالماضي.(٩٠)

ترى هل يستطيع المرء أن يبدع في أي لون من ألوان الأدب أو يحاول ابتكاراً أي فن من الفنون في بلد يسوده الفساد والتمزق والخراب؟. في أثناء الجرائم التي ارتكبها الأتراك في حق الأكراد منذ عام ١٩٢٥م وحتى عام ١٩٦٠م عاش الأكراد في محنة من القهر والتعسف فما كانوا يستطيعون أن ينطقوا أو يتفوهوا بكلمة واحدة من لغتهم.

إلا أنه في تلك الحقبة المقيتة الكالحة سطعت شرارات أمل من داخل سوريا (الجارة لتركيا) حيث كانت بقية من بقايا المتنورين الأكراد الذين نجوا من المذابح قد فرت إلى سوريا ولجأت إليها وأقامت فيها.

واستطاعت هذه الفئة المثقفة من الأدباء إصدار مجلة (هاوار-الصرخة) عام ١٩٣٢-١٩٥١م[٦] بريادة الكاتب العلامة اللغوي الفذ: جلادت عالي بدرخان ثم أصدروا مجلة (روناهي-الضياء)[٧]. وفي مستهل عام ١٩٤٠م صدرت في لبنان صحيفة (روزا نو-اليوم الجديد)[٨] تحت إشراف ومسؤولية كاميران عالي بدرخان (١٨٩٥-١٩٧٨)م (شقيق جلادت بدرخان) الكاتب اللغوي... ولا يخفى أن هذه الإصدارات ساهمت مساهمة جليلة في خدمة اللغة وحماية الأدب.

ولا بد لنا هنا من أن نتريث قليلاً عند شخصية: جلادت عالي بدرخان. لقد كان أعظم وأجل مثقف وعالم بين كبار المثقفين والكتاب والعلماء "حفيد الأمير: بدرخان" ابن الرئيس الثاني لجمعية (جمعية التعالي الكردية) أمين عالي بدرخان الذي قدّم للأدب واللغة خدمات جلّى لا تنسى على مرّ الدهور والزمان.

---

[٦] -مجلة هاوار (الصرخة): (١٩٣٢-١٩٤٣) وصدر منها ٥٧ عدد.
[٧] -مجلة روناهي (الضياء): (١٩٤٢-١٩٤٥) وصدر منها ٢٨ عدد.
[٨] -صحيفة روزا نو(اليوم الجديد): (١٩٤٣-١٩٤٦) وصدر منها ٧٢ عدد.

لقد كان كاتباً وأديباً صاحب أسلوب نثري حديث وكان في الوقت نفسه شاعراً ولغوياً.. فلو لا كتاباته في اللغة والأدب ولو لا تلك الحسنات التي أضافها إلى اللغة ولو لا تلك الكتابات والآثار التي تركها لكان من المشقة بمكان الكتابة باللغة الكردية اليوم إن لم نقل لكان الأمر مستحيلاً. لقد أنقذ اللغة الكردية من الفناء وأضفى عليها رونقاً وبهاءً وروحاً مشرقة. لقد كان يدرك قبل الجميع حقيقة السياسة الكمالية ويفهما فهماً جيداً لذلك اتخذ التدابير الضرورية لدرء أخطارها.(٩١) فاستحضر لفيفاً من الشعراء والكتاب والأدباء ودأبوا على العمل في صون اللغة وتحسين اللغة وقدموا أشياء كثيرة.

ولدى صدور العدد الأول من مجلة "هاوار" كتب فيها باسم مستعار مقالاً عبّر فيه عن أهداف المجلة:

"لكي ينجح أي عمل من الأعمال لا بد من أن يتوفر نهج معلوم أو خطة مدروسة، وقد اعتمدنا في ذلك على القواعد والأسس فيما يلي:

١-نشر الألف باء الكردي بين الجماهير الكردية وتعليمهم.

٢-معرفة اللهجات الكردية وجمعها. ومعرفة بعض اللغات الآرية والمقارنة بينها. الاطلاع على قواعد اللغة وتاريخها وتطورها.

٣-جمع القصص والأقصوصة وكل صنوف الأغاني والأناشيد.

٤-طبع الدواوين الشعرية ونشرها وتوزيعها وأعمال المتميزين.

٥-مشاهدة ألوان الرقص وحلباتها.

٦-معرفة العادات والطقوس والصناعات والحِرف في كردستان والعلاقات العامة بين الناس.

٧- التاريخ والجغرافيا: الإطلاع على مجمل تاريخ وجغرافية كردستان، ومعرفة أسماء العشائر وتاريخها وفي عهد الأمير: شرف.(٩٢)

تحققت هذه الأهداف جميعاً إضافة إلى أعمال ومؤلفات أوروبية تُرجمت إلى الكردية وطبعت، وتأسست مدرسة للكتاب الأكراد أطلق عليها اسم "مدرسة هاوار".. وهذه المجلات الثلاث التي ذكرناها كانت صفحاتها مشحونة بالمواضيع الأدبية والثقافية. وهي تعتبر خزانة الأدب الكردي واللغة الكردية. وعن طريقها نشأ كتاب وأدباء خُلدت أسماؤهم وترسخت أسماء الرواد في ذاكرة التاريخ. إن الذين رصعوا صفحات هذه المجلات ونقشوا سطورها هم: جلادت عالي بدرخان، وكاميران عالي

بدرخان، وجكرخوين، وأوصمان صبري، وقدري جان، ونورالدين يوسف /ظاظا/، وأحمد نامي، وقدري جميل باشا وآخرون. وبفضل هذه المجلات وكتابها نشأت مدرسة استشراقية كردية تخرج منها كتاب أوروبيون مثل: توماس بوا (الرجل الديني من المذهب الدومينيك)، وروجيه ليسكو، وبيير روندوت، ومستشرقون فرنسيون آخرون وما كان سيتسنى لهم ذلك لو لا "مدرسة هاوار".(٩٣)

وفي مجال القصة القصيرة الحديثة أيضاً سارت هذه المجلات خطوات حثيثة.. والكتاب الذين أتحدث عنهم وأدلي بأسمائهم كانوا بين حين وآخر يسطرون صفحات هذه المجلات بقصصهم القصيرة مثل نورالدين ظاظا الذي عرف باسم "تشيخوف الأكراد"... وقد فتحت المجلات الثلاث طريقاً ممهداً أمام القصة الكردية القصيرة. من كتاب مجلة هاوار الشاعر جكرخوين الذي نشر فيها قصته القصيرة الطويلة الفولكلورية بعنوان: "جيم وكلبرين" في عام ١٩٤٨م.

أما جلادت بدرخان المتخصص في البحوث العلمية واللغوية فكان ينشر فيها أحياناً بعض القصائد أو نصوصاً نثرية. وشعره من الشعر الرصين والرفيع جداً. وشعره "مزماري" من أعذب الشعر وأحلى القصائد وأحبه إلى نفسي فأنا أرتله دائماً وهو لا

يفارقني. وهذه الأبيات مرآة صادقة وناصعة عن نبوغ جلادت عالي بدرخان واتساع علمه وسمو فنه:

يا مزماري

أطلق لصوتك العنان

إنما الدنيا كطفل رضيع..(٩٤)

وفي مجال الشعر يجب في البدء التحدث عن جكرخوين قبل أي شاعر آخر. وشعره منشور في جميع أعداد هذه المجلات. وهو الكاتب الأول بين كتابها نظم شعره على نهج الملا أحمد الجزيري والملا أحمد الخاني.

كان الشاعر جكرخوين (١٩٠٠-١٩٨٤)م يمثل عهداً جديداً في الشعر الكردي... كان ينحدر من أسرة لا حول لها تخرج من المدارس الدينية ونال "الإجازة العلمية" من تلك المدارس وحاز لقب (سيدا-الأستاذ الأكبر). حارب جكرخوين في شعره الظلم والاضطهاد، وقال كثيراً من شعره في مثل هذا المعنى. (٩٥)

أمضى أيامه الأخيرة في المنفى، "في السويد" وتوفي هناك. دفن في داره في القامشلي وقد أصبح ضريحه مزاراً للناس.

عندما صدر ديوانه الأول غمر الناس إحساس بالبهجة والسرور. كتب جلادت بدرخان مقدمة للشاعر وقدري جان كما تحدث عن ديوان جكرخوين.

يقول قدري جان في مقدمته الموجزة التي قدم بها ديوان جكرخوين مادحاً الديوان ويقارنه بالآثار الكلاسيكية الكردية كالتالي:

"منذ عهد بعيد خلت أيدي الناس من ديوان ملا أحمد الجزيري وديوان ملا أحمد خاني "مم وزين" وكان عشاق الشعر الكردي يبحثون وينقبون عن هذين الديوانين دون طائل أو جدوى.

وبغتةً شاهدنا ديوان جكرخوين يظهر في الساحة في طباعة جيدة ومظهر أنيق. وأنني اعتقد أن ديوان جكرخوين سوف يملأ ذلك الفراغ الذي خلّفه الديوانان، ديوان "الجزيري" وديوان "مم وزين".(٩٦)

إن "جكرخوين" معروف بقصائده العاطفية وشعره في العشق وأحوال العشاق. صدر له حتى الآن سبعة دواوين. ولكن أعماله حسب معرفتي تبلغ بين مطبوع ومخطوط (٤٠) أربعين عملاً.

كان ملماً إلماماً كبيراً بالتاريخ الكردي الحديث وشاهداً عليه مثل موسوعة حية تضم بين صفحاتها. كان على معرفة جيدة

بتاريخ العشائر والأسر الكردية.. وكان ينبوعاً غزيراً للقصص والحكم والأمثال لا ينتهي ولا ينضب. في أيام وجوده في السويد كنت أواظب على زيارته كل أسبوع وأصغي إليه وهو يسرد بلغته الرصينة وأسلوبه البليغ الأحداث دون انقطاع أو نوقف كأنما يروي قصة قديمة.

ولدى العودة إلى كردستان تركيا نجد أنّ أيّ جديد لم يطرأ حتى عام ١٩٦٠م في مجال الكتابة الكردية.. لم يظهر أي كتاب أو سطر ولم تصدر أية نأمة. ولم يبدأ تحرك الأكراد إلا بعد عام ١٩٦٠م ولكن في مشقه وجهد وصعوبة. فما هي الصعوبات؟.

لنأخذ كتاب الصحافي الكاتب الكردي: موسى عنتر (١٩٦٢- Kimil) مثالاً، ودليلاً فهو يعبّر أفضل تعبير عن تلك الفترة العصيبة.

كان "موسى عنتر" ينشر كتاباته في الصحيفة التركية (Heri Yurt) فجمعها وأصدرها في كتاب بعنوان (Kimil) وكانت الكتابات كلها باللغة التركية إلا أنه أورد مقتطفاً من أغنية كردية جاء فيها:

Bi çiya ketim lo apo, çiya melûl bûn rebeno

Ceh seridîn lo apo, genim hûr bûn evdalo

Qimil hate lo apo, bi refan e rebeno

Xwar genimî lo apo, hişte kayê rebeno

Hat qimil e lo apo ji zozanan lo apo

Xwar genimê lo apo me xezanan lo apo

Ro hatibû lo apo wexta dana lo apo

Pez herikî lo apo ser şivanan rebeno

Çar kulekên me man apo li ser guhanan rebeno
(٩٧)

"شردت في الجبال يا عماه.. كانت الجبال كئيبة أيها المسكين. أينعت سنابل الشعير...الخ".

والأغنية بحذافيرها لا تخرج من هذه المعاني- ولكنّ هذه السطور هزت الحكومة التركية بأكملها وأثارت الصحافة التركية في كل أرجاء تركيا وتناولت كبريات الصحف التركية هذا الموضوع وكتبت عن هذه الأغنية محللة ومعللة مدلية بشتى الآراء والنظريات مهوّلة الأمر وإزاء هذه الضجة الإعلامية وضعت الدولة يدها على "القضية" واحتوتها..

ومهما يكن من ضآلة شأن الأغنية وسذاجتها ولكنّ الكتابة بالكردية محظورة والقراءة ممنوعة.. وهل في اليد حيلة؟ فإن الحكومة التركية تفكر بهذه الطريقة، وبهذه الطريقة يفكر المدافعون عنها. وفي خاتمة المطاف أقيمت دعوى قضائية على موسى عنتر وعلى المسؤول عن صحيفة (Ileri Yurt) المحامي: جانب يلدرم ثم زج "موسى عنتر" في سجن "الحربية" في الحجرة/٣٨/ في مدينة استانبول.(٩٨)

لقد كانت الأوضاع في هذه الفترة سيئة وعلى غاية من السوء بالنسبة للأكراد ولغتهم وثقافتهم. وكان الظلم لا يدع أي مجال للمتنورين للتحرك أو التنفس بأي حال من الأحوال. وجميع الفرص والحريات الممنوحة للكُتاب والكتابة كان الأكراد محرومين منها لا قسمة لهم فيها. كانت الدعاوى الجزائية تقام على الكتاب الأكراد دون استثناء وتصادر كتبهم ويزجّ بهم في المعتقلات والسجون.. ومن أوتي منهم حظاً فقد استطاع الفرار وهجروا البلاد.

وعلى الرغم من هذه الويلات والمحن حدثت أشياء ونفّذت أعمال. وطبعت كتب في قواعد اللغة والألف باء.. وصدرت مجلات وصحف وإن كانت أعمارها قصيرة. وصدرت بعض الكتب، وعند الحديث عنها لا بد من ذكر كتاب (الجرح الأسود)..

وهذا الكتاب هو أحد مؤلفات موسى عنتر كتب بأسلوب المسرحية.. كتب موسى عنتر هذه المسرحية عام ١٩٦٥م في معتقل "الحربية-الحجرة/٣٨/. وكان من الممكن أن تنشر المسرحية في كتاب عام ١٩٦٥م. المسرحية تبحث في شؤون القرويين الأكراد وحياتهم اليومية، الذين يعيشون في القرى على هامش العالم معزولين عن البشر الذين يتجشمون أشق الأعمال للحصول على كسرة خبز. في هذه المسرحية يصور الكاتب بلغته السهلة الدارجة في نصيبين. قرية "زورآفا" وأسرة زينو وبرو كما يصور بطل المسرحية "بدو". "بدو" شخص لبيب ذو وعي وإدراك.. إنه إشراقة الأمل في مجتمع القرية.(٩٩) يدرس هذا الفتى ويتخرج طبيباً ثم يعود إلى مسقط رأسه. إلى قريته المنكودة ليضع المراهم والبلسم على جراحات أهله ويشفيها. يقول موسى عنتر في مقدمته الوجيزة: "ما أكثر الجروح السوداء في بلاد الشرق". ثم يقول: الرمد والجدري والسل والجرب ولكن أبشع وأسوأ هذه الجروح التشرد والبؤس والجهل والفاقة والحرمان...(١٠٠)

وعلى الرغم من الركود الأدبي فترة طويلة أي فترة كتابة المسرحية فإنّ لغتهُ سليمة نقية لا تشوبها شائبة.

وعلى الرغم من الهشاشة الأدبية والنواقص الفنية في القصة القصيرة "ميرو" التي كتبها محمد أمين بوز أرسلان المعروف بمؤلفاته الكثيرة وخدماته الجليلة في ميادين المعرفة والآداب واللغة. جمع الكاتب القصص التي كتبها في عام ١٩٧٠م وأخرجها في مجموعة قصصية. إنها معروضة بلغة سهلة وبساطة أدبية ومواضيعها هي المواضيع نفسها التي تطرق إليها موسى عنتر في مسرحيته: التشرد والجهل والفقر المدقع والتخلف. هذه الآفات القاتلة المصلته على رؤوس الفقراء هي التي تظهر دائماً في مضمون جميع القصص القصيرة.

ومع كل هذا وذاك ظهر في تركيا وسوريا نوع من التطور وصدرت بعض الكتابات والأعمال.. وحدث قليل من التجدد والانتعاش وكان لهذا القليل تأثير في الجيل الجديد الذي يمكن أن نسميه جيل عام ١٩٦٨م وهذا الجيل استطاع أن يصنع شيئاً في مجال النثر وفي مضمار النظم والشعر. إن لم يكن في وسعنا أن نقول: الجيل لم يقدم أعمالاً عظيمة جداً حتى الآن إلا أنه ماضٍ على هذا السبيل.

يعرف محمود باكسي الكاتب والصحافي بكتابة قصصه القصيرة للأطفال. إنه يعيش في منفاه في السويد، يثابر على كفاحه منذ عهد بعيد.

في عام ١٩٨٤م استطاع أن يخطو في مضمار القصة خطوة رائعة إذ كتب رواية للفتيان والناشئين تحت عنوان "هيلين". و"هيلين" اسم الفتاة الصغيرة في بطولة الرواية. في رواية الفتيان والناشئين تروي الفتاة الصغيرة "بطلة الرواية" نزوح أسرة كردية من الوطن، هذه الأسرة التي لم تعد تستطيع تحمل الحيف والجور الواقعين عليها فتسللت خفية وفرت بجلدها.

"كوندكي دونو" هي آخر رواية للكاتب. موضوع الرواية هو الأحداث والعلاقات والروابط القائمة بين القرويين والآغا والحياة اليومية في مناطق "غرزان" و "غرزان" هي موطن آباء وأجداد محمود باكسي وهو من أهلها. إنه ينقل حياة قرية "دونو" على الورق ويخرجها في إطار رواية شديدة الأناقة وقيمة جداً والرواية مكتوبة بلغة أهل "غرزان" اليومية وفي كتابة محمود باكسي نتلمس أثر خطوات جادة.(١٠١)

بين أيدينا رواية أخرى تحكي قصة حياة يومية لطفلٍ. كتبها "بافي نازي". إنه من أكراد سوريا. تلقى دراسته في موسكو وهو مقيم فيها. إنه يعرض بعونٍ من "جتو" مشهداً حقيقياً ذا ألوان في المجتمع الكردي. وعنوان الرواية مطابق لذلك الواقع "الجبال المروية بالدم" صدرت الرواية بالعربية والروسية أيضاً... إنها رواية جيدة وواعدة بالمزيد... إنها روايته الأولى.

ومن الجيل الجديد كاتب آخر جدير بالذكر إنه: "شاهين بكر سوركلي" جده من جهة الأم من أهل كردستان تركيا.. هاجر بأسرته إلى سوريا مقيماً فيها.. إنه أي "شاهين بكر سوركلي" ملم بالنثر والشعر وبهما يكتب...

قصته القصيرة الطويلة الأولى هي: "حظ محمد كارتاش". وفي اعتقادي إنها ملفته للانتباه. (١٠٢) والقصة القصيرة هنا مبنية على مسرحية فتى من كردستان تركيا.. إنه يعيش في خارج البلاد شقياً مشرداً.. لا يدري ماذا يفعل.. على أية صخرة يضع رأسه.. يتغلب عليه اليأس فينتحر.

إن رواية "شاهين بكر سوركلي" رواية حديثة في مضمونها وأسلوبها. عنوانها "الضياع" إن الكاتب يخلط بين المعاني الدينية والاجتماعية والتاريخية والسياسية ويخرج منها حكمة أدبية طويلة ومسهبة.. إنها الحكمة النابعة عن أحساس ووجدان شخص نأى عن وطن. إنقطع عن أهله. إن الكاتب يقع في نزاع مع نفسه، ويحاورها.(١٠٣)

ومن المجلات التي تستحق الاهتمام مجلة "تيريز Tîrêj" الشهرية التي صدرت في تركيا. ولكنها وأسفاه- لم تجذب إليها الانتباه عندما صدر في آخر عام ١٩٧٠م بسبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية آنذاك وظروف الشغب التي مرت بالبلاد.

لقد كانت أول مجلة كردية باللغة الكردية يصدرها الأكراد بعد عام ١٩٢٣م.. لم يستمر صدورها طويلاً فلم يُنشر منها سوى أربعة أعداد. وفي صفحات المجلة أسماء كثيرة ملفتة للنظر صاحب أحد هذه الأسماء يدعى "فليت توتاني" الذي يكتب قصصه القصيرة بأسلوب ساخر مشوق يشد إليه القارىء. إنه يكتب بمزيد من التألق والذوق الرفيع ولغة في غاية الرصانة يعرض على أنظار القراء مشهداً من المشاهد الكردية الإنسانية.

في مشهد الكاتب: "فليت توتاني" نشاهد نوابغ من رجال الدين، ونرى انصاف مثقفين، وكتاباً مغفلين لا يدرون كيف يكتبون، وقرويين مشائين بين الناس بالنميمة وآثارة الفتنة، وأصحاب الحوانيت، وأهل المدن المرائين المخادعين. ومن كتاب المجلة الشاعر "روزن برناس" ولشعره شهرة واسعة بين الجماهير الكردية. وعندما صدر له الديوان: "ليباندفا سبيدى- Li Bandeva Spêde" و " Heyv Li Esmanê Diyarbekirê" ثارت بين القراء موجة من الاستحسان والإعجاب. و "حسن متي" أيضاً اسم مفعم بالأمل.. إنه من كردستان تركيا، يقيم في السويد. مجموعته المؤلفة من القصص القصيرة "آردو" نموذج جيد عن الأدب الشفهي الشعبي. وبعد هذه المجموعة اصدر مجموعته القصصية "سميرنوف" الأسلوب جيد واللغة عذبة والمضمون ممتع وجذاب وهو إلى

جانب التأليف يمارس الترجمة. من أعماله التي ترجمها إلى الكردية أعمال "تشيخوف"، و دستويفسكي، و بوشكين، وكان قد أهداها إلى المكتبة الكردية. ومن الأسماء الرصينة "فرات جوهري".. وكتابه المتضمن قصصاً قصيرة "المعتقل أو السجين" يستحق البحث.

بعد عام ١٩٨٠م بشكل خاص ازداد عدد الكاتبين باللغة التركية وهم يصدرون كتباً قيمة سوف ينتفع بها الأجيال المقبلة. وحسب رؤيتي اعتقد أن هذا التطور يبصرنا بأن اللغة والآداب في سبيلها نحو الازدهار وأعتقد أيضاً أننا مقدمون على عهد من النهضة.

وفي هذا الصدد ينبغي لنا أن نتحدث عن الأدباء الأكراد الذين يكتبون بلغات أجنبية، وهم كثر في تركيا وسبب ذلك واضح فهم إما أنهم يجهلون الكتابة بالكردية أو أنهم يخشون إرهاب سلطة الدولة. وفي إيران وتركيا وسوريا يوجد كتاب أكراد يكتبون بلغات تلك الدول. ترى هل يستطيع المرء أن يصنف هؤلاء الكتاب بين الكتاب الذين يكتبون بلغة قومية؟ أو أن يقارنوهم بهم؟ وهذا الأمر مسألة خطيرة ليس بالنسبة للأكراد وحدهم بل هي مثيرة للتساؤل بين جميع القوميات في كل أطراف الأرض وتدعو إلى حوار مستفيض ومفيد.

وقد عنيت الآداب الأفريقية بهذه المسألة وصارت شغلها الشاغل وأربكت أدباء أفريقا وكتابها لأننا أينما توجهنا رأينا ٩٠% تسعين بالمائة يكتبون باللغة الانكليزية أو الفرنسية. والجدال في ذلك قائم على قدم وساق. إن هذا الجدال محتدم بين أولئك الكتاب الذين لا يكتبون بلغة الأم مثال ذلك الكاتب الجزائري: كاتب ياسين، و راشد بودجدرا، و الفارسي "عبداللطيف لعاب" والشاعر السنغالي عضو الأكاديمية الفرنسية "Leopold Sedar Senghor"، والشاعر المارتيني " Aime Cesaire" وكتاب نيجيريا "Chinua Achebe" و" Wole Soyinka" و يردون عن السؤال الآنف الذكر كالتالي:

"أجل.. إن كاتباً يكتب بلغة أجنبية يمكن تصنيفه مع الكتاب القوميين الذين يكتبون بلغة الأم ويمكن له أن ينبوأ بينهم مكانة عالية ".(١٠٤)

يقول طاهر بن جلّون الكاتب الفاسي (نسبة إلى مدينة قاس" الذي يكتب باللغة الفرنسية في هذا الصدد:

"إنني أكتب عن عادات وتقاليد وأعراف بلادي باللغة الفرنسية لا أستطيع أداء هذه المعاني باللغة العربية والتعبير عنها".(١٠٥)

وفي سوريا وتركيا وإيران والعراق جمهور غفير من الكتّاب الذين كتبوا عن بلادهم وما في بلادهم من عادات وتقاليد وآداب

وعن تاريخ شعوبهم بغير لغة الأم-يعني ليس باللغة الكردية- بل بلغة أخرى ومع ذلك أسسوا لأنفسهم مجداً أدبياً. إنهم باختصار يكتبون عن الوطن وعن كل ما يحتوي عليه الوطن.

الكتاب الذين يتجهون إلى هذا المنحى كثيرون جداً، ولكي لا أطيل هذا البحث فسوف أجتزئ بأسماء ستة منهم هم عمالقة في حرفتهم: سليم بركات، وياشار كمال، ويلماز كوني، وسعيد آلب، وأسما أوجاك، ويلماز أوداباشي.

سليم بركات سوري الموطن، إنه كاتب وشاعر مهم جداً في كتابة الأدب الحديث العربي... إنه يفكر تفكيراً كردياً ويكب كتابة عربية،(١٠٦) مواضيعه كلها شعر أو قصة قصيرة... رواياته كلها عن الكرد وكردستان. يقتبس مواضيعه من الأحداث والحكم والأساطير والأغنيات الكردية.

يقول النقاد العرب: قليل من الناس من يمتلك مثل مقدرة سليم بركات على الكتابة باللغة العربية بهذه الرفعة والأناقة والسمو".

أما ياشار كمال فلم يوجد له مثيل بين الكتاب من استطاع أن يقحم الآداب الشفهية بهذا القدر من المهارة والحرفية في رواياته بشكل مسهب وموسع.

من حسنات كتب يشار كمال أنها تقرأ بجميع لغات العالم وهو في أحيانٍ كثيرة يتحدث كتاباته عن الآداب الشعبية الكردية وعن الأغاني والمطربين والملاحم الكردية مادحاً ومنوهاً بجودة ذلك كله.

في لقائه بالمتنور التركي "آزرا أرهات" عام ١٩٧٦م قال: "لدى الأكراد شاعر كبير عملاق اسمه "عفدالي زينكي".. إنه الرجل الأسطورة عند الأكراد.. وكان بين الأكراد مغنون ينشدون الأناشيد الملحمية.. ولديهم ملحمة "ممي آلان" وهي كغنائية "هوميروس" إلا أنها ليست خاضعة لقواعد النظم إنها أشبه بالشعر الكردي الحر في هذه الأيام... كان "عفدالي زينكي" يروي ملحمته... كتبت في "Yer Demir Gok Bakir". لقد كانت ملحمة مدهشة.. كانت قصة حياتي..."(١٠٧).

إن يشار كمال شاعر كبير غني عن التعريف إنه عالمي الشهيرة فلا حاجة إلى مزيد من الحديث عنه. وعن أعماله.

يلماز كوني أيضاً-مثل ياشار كمال- ينحدر من أسرة كردية، هاجر مع الأسرة إلى "جوكوروفا" واستقر فيها. كان يلماز كوني مخرجاً سينمائياً بارعاً وممثلاً كبيراً وكاتباً ناجحاً. ففي مهرجان "كان" السينمائي الذي افتتح عام ١٩٨٢م اشترك فيه بفلمه المشهور "الطريق" وكان كوستاكافراس قد ساهم في المسابقة

بفلمه: "الضائع" ونال يلماز كوني الجائزة الأولى.. أمضى الأعوام الطويلة في السجون التركية ومات عام ١٩٨٤م في المنفى في باريس. وهو معروف برواياته في تركيا وفرنسا.

في بداية أعوام ١٩٦٠م كتب روايته الأولى " Boyon Bukuk" وعن هذه الرواية حاز جائزة "أورهان كمال" وهي أكبر جائزة في تركيا في عام ١٩٧٢م.

وعلى غرار روايات "يشار كمال" تتناول روايات "يلماز كوني" حياة أشخاص هجروا بلادهم وذهبوا إلى منطقة "Çukurowa" كي يستطيعوا أن يسدوا رمقهم وتتحدث رواياته بإمعان شديد عن أحوال مجتمع يتحول من الانغلاق إلى الرأسمالية.

"سعيد آلب" كاتب من طراز عام ١٩٦٨م-يتحدث على النقيض من الكتاب الذين سبقت الإشارة إليهم- عن الأيام الماضية، والتاريخ المترع بالآلام والأسقام، وعن الهجرة والنزوح ألقسري والحسرات. إنه متعلق بالماضي، وهو أحد الأكراد المنفيين إلى الأناضول الأوسط.

وبتقنية عالية يضمن رواياته فكرة من الملاحم الكردية تتحدث روايته "الوطن" وهي روايته الأولى عن نزوح الأكراد ونفيهم إلى مناطق الأناضول وروايته الثانية "دوران Dewran" مثال

جيد للإتيان بآراء وأفكار كردية. إنه يستحضر في روايته شخصيات الملحمة الشهيرة "سيابند وخجي" وينقلها بحكمة مهنية إلى أدوار منفصلة، ويكسوها ثياباً جديدة ويسلم إليها وظائف جديدة وفي هذا الصدد يقول كالتالي:

"إنني قبل أن أغيّر فحوى تلك الملاحم أو أبدل كلماتها ومعانيها فانني أصوغها في قالب جديد دائم التجدد يناسب أحوال شعبي. مهما بدت كلمات الملحمة ومعايير الرواية متناقضة فإن ذلك غير صحيح... واعتقد أن المرء يستطع أن يرى المسار التاريخي في نهج الرواية بشكل دائم وشمولي.(١٠٨)

إن "اسما أوجاك" في حرفتها الأدبية وتطورها مختلفة كل الاختلاف عن هؤلاء الكتاب الثلاثة. إن كاتبتنا هذه جاءت إلى الدنيا على أرض كردستان وعليها نشأت وترعرعت وما زالت مقيمة هناك في قرية قريبة من دياربكر. جميع كتبها وقصصها القصيرة "Berdel, Kirkar Daginin Duzu" و "Kervan- Servan" تعالج حياة المرأة القروية وتحكي همومها وما تتعرض له من جور واضطهاد. المرأة القروية تعرفها الكاتبة معرفة جيدة لأنها قريبة منها عن كثب. وزواج الشغار (البدل) عادة قديمة سيئة يعانيها المجتمع الكردي. إنها في قصة "زواج البدل- الشغار" تعالج هذه العادة بأسلوب مؤثر

وبليغ متسم بالحكمة مليء بالدروس والعبر وفي قصتها "كركار" أيضاً تتحدث عن المرأة الكردية، المرأة الضعيفة البائسة التي لا تملك حيلة إزاء الظلم الذي تتعرض له بشتى صنوفه... وموضوع "Kervan- Servan" أيضاً لا يخرج عن إطار حياة المرأة الكردية. وحسب عقيدتي فإنني أرى أن المرأة اذا شاءت أن تحمل القلم وتصف وتصور الحياة في بيئتها ومحيطها فإنها ولا شك ستبدع وستقدم فناً رفيعاً إلى الأدب وستفتح له نافذة جديدة.

إن الشاعر الحديث والشاب "يلماز أوداباشي" ينتمي إلى أولئك، ويفترق عن هؤلاء. إنه يبقى مع الآخرين ولأنّ الجميع يكتبون بلغة أخرى فهو مختلف عنهم. إن "يلماز أوداباشي" دائم التحدث عن كونه كردياً وأنه "شاعر كردي"... إنه يرى نفسه شاعراً كردياً... يكثر التحدث عن حظر اللغة الكردية وهضم حقها ومحاربة آدابها. وقد جعل الشاعر هذا الحديث ديدناً و وظيفة و واجباً. أي أنه شاعر لا يستطيع الكتابة باللغة الكردية بسبب الظروف المانعة... له ديوان شعر عن ثورة الشيخ سعيد. وله دواوين كثيرة مطبوعة.

الخاتمة

على الرغم من هذا التقدم والسير بخطوات من الأمل فإن أحدنا لن يسعه القول فيزعم أن "الأدب الكردي قد نال حظاً كبيراً من التقدم" إن مثل هذا القول غير صحيح لأن الأدب الكردي لم يتقدم بعد. صحيح أن هناك تجربة جديدة لألوان أخرى من ألوان الأدب مثل "الرواية" والقصة القصيرة، والخاطرة والمسرحية وكتابة الذكريات ولكنها لم تخالط الأدب الكردي ولم تحتل موقعاً أساسياً في الأدب. ولكننا نستطيع القول في ثقة واطمئنان بأن الأدب الكردي قد دخل عهداً من الرخاء والبركة والخير.. إن الأدب الكردي اليوم يؤسس ويُبنى على قواعد ثابتة وشامخة... والارتباط بالماضي موجود ومتين.. اللغة تتجدد وتتحسن والمواضيع متنوعة وجذابة.. وعدد القراء في ازدياد.

والمواقع التي يحتلها الأدب في حياة الناس تغدو أكثر إتساعاً ورحابة. لذلك فإن أدب اليوم وأدب الماضي وأدب المستقبل في حالة بناء منذ الآن.

ولا بد لنا من معرفة هذه الحقيقة.. إن بعض الكتاب الأكراد الذين تنقصهم شروط الكتابة ينهضون اليوم بأعباء جسيمة.. إنهم يفتقرون إلى الحرية والاستقلالية ووسائل أخرى لذلك فإن المهام

التي يؤدونها كبيرة وباهظة. فحتى الآن لا توجد مكتبة غنية بالكتب ولا توجد موسوعات ومعاجم جيدة يعود إليها الكاتب الكردي ويعتمد عليها. إن الكاتب الكردي- في كل الأحوال- ينبغي له مناهضة كل المعوقات، ويجعل لغته لغة أدب وكتابة ويعرضها أمام الناس الآخرين ويمضى بها إلى التقدم. وباختصار فهذه بعض جوانب الوظيفة التي يؤديها الكُتاب. إن الكاتب الكردي كاتب ذو ارتباط بأشياء أخرى لا يستطيع أن يشيح بوجهه عنها أو يتجاهلها.

إن هذا السؤوال قد يكون أهم سؤال يطرحه الكاتب الكردي وهو:

كيف نستطيع أن نقحم رسالة اجتماعية، سياسية، وثقافية في قالب الأدب وزيه؟ كيف يستطيع المرء أن يعبّر عن الآلام والنكبات والمحن التي ألمت بالأكراد في أسلوب أدبي مهذب وأنيق وعلى غاية من البلاغة؟.

تنويه

١-إن الكتب والمؤلفات التي تتناول الأدب الكردي بحثاً وتنقيباً ويمكن أن تكون مصادر ومراجع في هذا الباب نادرة جداً. وهي على شحها وقلتها لم تكتب بإتقان ولا يجمع بين مواضيعها رابط وليس في سردها نسقٌ أو نظام وسوف أورد فيما يلي أسماء أهم وأشهر الكتب التي تناولت موضوع الأدب الكردي ليكون في وسع الكاتب أو القارئ العودة إليها والاهتداء بها في البحث والتنقيب.١-**ملا محمود بيازيدي** "عادات كردستان": هذا الكتاب القيّم طبعه العّلامة الروسي المتضلع من اللغة الكردية وآدابها: آ.جابا في عام ١٨٥٠م والكتاب يبحث في العادات والأعراف الكردية. ٢-**أمين فوزي** "لجنة الأدباء" يقع هذا الكتاب في ١٤٧ صفحة. طبع في استانبول. يروي سيرة بعض الكتاب الأكراد. ٣-**رفيق حلمي** "الشعر والآداب الكردية". طبع هذا الكتاب في بغداد عام ١٩٤١م في جزئين يتناول تاريخ الشعر الكردي ويحتوي على فصول ثقافية. ٤-**علاء الدين سجادي** "تاريخ الأدب الكردي" وهو من أهم المراجع في تاريخ الأدب الكردي وقد طبع مرات كثيرة يتحدث عن /٢٤/ أربعة وعشرين شاعراً من الشعراء الأكراد. يتضمن معلومات جليلة. كما يحتوي على نبذة من تاريخ الأكراد وبعض الأساطير الكردية والقصص. ٥-**صادق بهاء الدين آمدي** "الشعراء الأكراد" طبع في بغداد عام ١٩٨٠م يعرض سيرة /١٩/ تسعة عشر شاعراً كردياً ويذكر فيه الكاتب أعمالهم. ٦-البروفيسور **قناتي كردو** "تاريخ الأدب

الكردي" طبع هذا الكتاب في ستوكهولم في جزئين يبحث في تاريخ الأدب الكردي حتى عام ١٩٥٠م. ٧-**جلادت بدرخان** "كلاسيكنا" صدر هذا العمل في مستهل عام ١٩٤٠م في مجلة "هاوار" المشهورة وهو أهم بحث في هذا الموضوع يتسم بالجدية والرصانة. ٨-**حسين عارف** "قصة الفن الكردي" الكاتب نفسه روائي ذائع الصيت. وكتابه هذا الذي طبع في بغداد عام ١٩٧٧م يبحث في تطور الرواية والقصة القصيرة لدى الأكراد.

٢-شرف خان "شرف نامه" طبع في استانبول ١٩٩٠م في /٢٩٦/ صفحة. وفيه معلومات قيمة عن العهد الذي دوّن فيه.

٣-عصمت شريف وانلي. مقدمة لكتاب الجنرال إحسان نوري باشا "La Revolte de Agridagh" طبع في جنيف عام ١٩٨٥م.

٤- J.Von Hammer, Histoire de l'Empire Ottoman, تاريخ الإمبراطورية العثمانية. باريس الجزء الرابع. الصفحة ٢٥٨.

٥-المخطوطة الشهيرة للمؤرخ إدريس البدليسي " Heşt Behişt" موجودة في المكتبة الوطنية المصرية.

٦-آ.ر.قاسملو. "شعب بلا أرض" مطبعة زد برس، لندن ١٩٨٠م، الصفحة ١١٧.

٧-أحمد خاني. مم و زين. استانبول، ١٩٩٠م، الصفحة٥٦.

٨-أمير حسن بور "العامل اللغوي في التطور العالمي"، معايير اللغة الكردية،١٩١٨-١٩٨٥م، ١٩٨٩،الصفحة ٥٠.

٩-ل.رامبوت، Les Kurdes et droit، طبع في عام ١٩٤٧م في باريس. في عام ١٩٢٠م أبرمت معاهدة سيفر في ١٠آب بين الدول المنتصرة وبين العثمانيين. كانت المعاهدة تتضمن /٤٣٣/ بنداً. وأهم هذه البنود ٦٢-٦٤، وهي التي تتكفل وتضمن للأكراد جميع الحقوق من حرية واستقلال.

١٠-م. يكتين "الكرد وكردستان" في اللغة السويدية. طبع في ستوكهولم ١٩٨٤م. الصفحة ٣٥-٣٦.

١١-مارتن فان برونسن. "الآغا والشيخ والدولة" الطبعة الثانية ١٩٧٩م. الصفحة ١٩٠. (على غرار معلومات كتاب "فون هامر" الذي نوّهت به آنفاً يقول مارتن برونسن: من المحتمل أن العثمانيين في عام ١٦٥٠م وضعوا النظام الإداري للحكومات الكردية وهذه الحكومات هي: بالو-أكيل- كنج- هزو- جزيرة.

المناطق الخاضعة لإدارة بكوات الأكراد:

سكمان- قُلب- مهراني- أتق- برتك- جبخجور- جرمك- ترجيل.

السناجق العثمانية:

دياربكر "مركز" –خاربوت- أرخني- سويرك- نصيبين- حسن كيف- ميافارقين- آك جاكله- سعرد- سنجار- جمِشكَزَك.

١٢-فرهاد شاكلي "الشعر الكلاسيكي والحديث الكردي" باللغة النرويجية. مجلة كردستان Nytt، أوسلو، ١٩٨٥م. الصفحة /٢٤/.

١٣-جلادت عالي بدرخان (هركولي عزيزيان-مجلة هاوار)، العدد/٣٣/،دمشق. (يقول جلادت بك بناءً على معلومات آ.جابا: إن الحريري أصدر ديواناً والحريري ينتمي إلى قرية "حرير" في وسط شمدينان وهكاري.

١٤-ديوان –الملا الجزيري- "يعتقد عالي بدرخان أنه طبع أول مرة في بطرسبورغ. وكانت الطبعة الثانية عام ١٩١٩م في استانبول. ثم قام قدري جميل باشا بمشاركة جلادت عالي بدرخان بتنقيح الديوان وتهذيب لغته وشرحه ونشره في اعوام ١٩٣٠م في مجلة هاوار، بالحروف اللاتينية. في عام ١٩٨٧م، نشرته مؤسسة "روزا نو" بالحروف اللاتينية في ستوكهولم. وقد بدل الأحرف زين العابدين زنار ومحمد أمين ناروزي إلى اللاتينية ثم أعيد نشره. في هذه الطبعة مقدمتان في سيرته وفي أعماله وفي المقدمتين إسهاب وإطالة.

١٥-كتب د.ماكنزي مقدمة لكتاب "الشيخ صنعان" تحت عنوان "الملا الجزيري وفقي طيران". يقول فيها بكل صراحة ووضوح: إن جميع المعارف والمعلومات عن الأدب الكردي

التي وصلت إلينا مصدرها جميعاً كتابات م. محمود بيازيدي. وهي اليوم مصادر ومراجع قيّمة جداً. وكان قد كتبها لـ آ.جابا. ثم أصدرها في كتاب عام ١٨٦٨م في بطرسبورغ " Recueil des notices et recits kurde"، ولم تكن منشورات جلادت عالي بدرخان التي كان ينشرها في مجلة "هاوار" تحت عنوان "كلاسيكنا" أو أدبنا الكلاسيكي، سوى كتابات م. محمود بيازيدي.

١٦-جلادت عالي بدرخان "الكتابة المشار إليها آنفاً".

١٧-ديوان فقي طيران "الشيخ صنعان"، وقد طبعه بالأحرف اللاتينية م. يكتين، في ستوكهولم عام ١٩٨٦م. وقد اعتمد رودينكو على هذه الطبعة. وكتب كل من رودينكو و ماكنزي وجلادت بدرخان و البروفيسور قناتي كردو تخص فقي طيران و "الشيخ صنعان" معلومات هامة للقارىء.

١٨-فرهاد شاكلي، Kurdish Nationalism in Mem û Zîn of Ehmedî Xanî، "القومية الكردي في مم وزين لأحمد خاني".صدر في السويد الصفحة/١٧/.

١٩-أحمد خاني "مم وزين"، ترجمة: م.أ. بوزأرسلان. صدرفي استانبول. هاسات.١٩٩٠م. الصفحة/٦٢/.

٢٠-أحمد خاني، الصفحة ٦١-٦٢. E.q.k.

٢١- أحمد خاني، الصفحة ٧٢. E.q.k.

٢٢-باسيل نيكيتين. الأكراد. إصدار اوزكورلوك يولو . ١٩٨٦م، الصفحة/٤٩٠/.

٢٣-أحمد خاني. نوبهار. إصدار: روزا نو. استوكهولم، ١٩٨٦، الصفحة/٧/.

٢٤-جلادت عالي بدرخان (هركولي عزيزان)، مجلة هاوار، العدد/٣٣/ الصفحة/١٠/. حيث يقول جلادت بدرخان: "سمعت أن "الخاني" ألف كتاباً في الجغرافيا والفلك تحدث فيه عن الكواكب والنجوم ولكنني لم استطع الحصول عليه".

٢٥-قناتي كردو "تاريخ الأدب الكردي" اصدار: روزا نو". في السويد عام ١٩٨٣م، الصفحة /٧٢-٧٣/.

٢٦-مارتن فان برونسن.e.q.k، الصفحة /٢٠٨/.

٢٧-فرهاد شاكلي، الأدب الكردي الكلاسيكي- مجلة كردستان، طبع في أوسلو، عام ١٩٨٥م "باللغة النرويجية"، الصفحة/٢٥/.

٢٨-جويس بلو، "ذكريات عن كردستان" طبع في باريس عام ١٩٨٤م، الصفحة /١٢٣/.

٢٩-أمير حسن بور ، الصفحة /٨٨/.

٣٠-أمير حسن بور، الصفحة /٦٨/.

٣١-هوراز كرمياني، "الشعر الكردي الكلاسيكي الصوفي-المولوي"، (باللغة السويدية)، مجلة " Svensk-kurdisk journal" العدد:/٢/، الصفحة/٨/.

٣٢-في الكتاب الذي ألّفه حسن بور-وقد مرّ ذكره- جدول بأسماء المشاهير من الشعراء والأدباء الأكراد "الكلاسيكيين". الصفحة/٦٦-٦٧/. وابتغاءً للفائدة أنقل الجدول للقارئ كالآتي:

١-ملا بارش هان ١٣٩٨-؟. (الهورامية). ٢-علي الحريري ١٤٢٥-١٤٩٠م. (اللهجة الكردية الشمالية). ٣-الملا الجزيري ١٥٧٠-١٦٤٠م. (الكرمانجية). ٤-سالم سليمان ١٥٨٦-؟. (الكرمانجية). ٥-رضا خان ١٥٧٠-١٦٤٠م. ٦-فقي طيران ١٥٩٠-١٦٦٠م (الكرمانجية). ٧-مصطفى بصاراني ١٦٤١-١٧٠٢م (الهورامي). ٨-أحمد خاني ١٦٥٠-١٧٠٦م (الكرمانجية). ٩-ملايي باتي ١٤١٤-١٤٩٥م (الكرمانجية). ١٠-محمد قولي كاندولايي (أواخر القرن السابع عشر-الهورامية). ١١-حارث بدليسي ١٧٥٨-؟. (الكرمانجية). ١٢-خانايا قوبادي ١٧٠٠-١٧٥٩م (الهورامية). ١٣-والي دوانه ١٧٤٧-١٧٩٨م (الهورامية). ١٤-ميرزا ألماس خان ١٧٦٣-؟. (الهورامية). ١٥-ميرزا صافي كوياي ١٧٦٣-؟. (الهورامية). ١٦-شاه برتو ١٨٠٢-؟. (الكرمانجية). ١٧-مولانا خالد ١٧٧٧-١٨٢٦م (الهورامية). ١٨-ملا خليل سيرتي ١٨٣٥-؟. (الكرمانجية). ١٩-ويدايي ١٨٤٠--؟. (الكرمانجية). ٢٠-مصطفى كردي ١٨٠٩-١٨٤٩م (الصورانية). ٢١-سيدايي

هورامي ١٧٨٤-١٨٥٢م (الهورامية). ٢٢-خضر نالي ١٧٩٧-١٨٥٥م (الصورانية). ٢٣-أحمدي كور ١٨٥٦-؟. (الصورانية). ٢٤-عبدالرحمن سالم ١٨٠٠-١٨٧٦م (الصورانية). ٢٥-أحمد بكي كوماسي ١٧٩٣-١٨٨٢م (الهورامية). ٢٦-ملايي جاباري ١٨٠٦-١٨٧٦م (الهورامية). ٢٧-عبدالرحيم مولوي ١٧٩٦-١٨٨٩م (الهورامية). ٢٨-محمد أوصمان حاجي اسماعيل ١٧٩٦-١٨٨٩م (الهورامية). ٢٩-م. والي كرمنشاهاني ١٩٠٠-؟. (الهورامية). ٣٠-ملا ماريفي كوكاي ١٨٣٧-١٩٠٦م (الصورانية). ٣١-محمد أمين سيف السادات ١٩٠٣-؟. (الهورامية). ٣٢-محمد محوي ١٨٣٠-١٩٠٤م (الصورانية). ٣٣-صالح هارق ١٨٥١-١٩٠٧م (الصورانية). ٣٤-شيخ رضا طالباني ١٨٣٥-١٩٠٩م (الصورانية). ٣٥-عبدالله آداب ١٨٥٩-١٩١٢م (الصورانية). ٣٦-عبدالرحيم وفائي ١٨٤٤-١٩١٤م (الصورانية). ٣٧-طاهر بكي جاف ١٨٧٥-١٩١٧م (الصورانية).

٣٣-محمد أمين زكي بك (تاريخ كردستان)، اصدار كوملا، أنقرة ١٩٧٧م. "في الكتاب معلومات مهمة ومسهبة".

٣٤-مارتن فان برونسن ,.k.q.k، الصفحة /٢٢٥/.

٣٥- Chris Kutschera, Le Mouvement National kurde, ed. Flammarion, Paris, 1979, r.16. الحركة القومية الكردية، طبع في باريس ١٩٧٩م. الصفحة/١٦/.

٣٦-أمير حسن بور ,e.q.k الصفحة /٤٦/.

٣٧-م.محمود بيازيدي. (عادات كردستان). الصفحة ١٧-١٨-١٩، ١٩٧٩م. (دوّن هذا الكتاب أول مرة في عام ١٨٥٨-١٨٥٩م. مخطوطات الكتاب محفوظة في مكتبة "بطرسبورغ". وقد طبع هذا الكتاب مراراً. وهذه المخطوطات موجودة في أرشيف آ.جابا.

٣٨-قناتي كردو "المسألة اليزيدية". مجلة جارجرا. العدد/٤-٥-٦/ الصفحة /٤-٥/.

٣٩-ف.هـ. خورشيد، "اللغة الكردية والتوزع الجغرافي للهجاتها". مطبعة أشبيلية. بغداد. ١٩٨٣م. الصفحة/٧-١٦/.

٤٠-إسماعيل بشيكجي، "Bilim Yontemi"، إصدار كوملا، انقرة، ١٩٧٦م، الصفحة/٥٣/.

٤١-جويس بلو، " Contes kurdes,ed. Fleuve et Flame," إصدار باريس، ١٩٨٦م، الصفحة/٥٣/.

٤٢-باسيل نيكيتين، e.q.k، الصفحة /٤٤٥/.

٤٣-أورديخان جليل –جليلي جليل، "Zargotina Kurda" إصدار ناوكا، موسكو، ١٩٧٨م، الصفحة /٣٩/.

٤٤-م.يكتين، e.q.k الصفحة/٥٨/.

٤٥-محمد اوزون، "يوم من أيام عفدالي زينكي" إصدار "ولات"، ستوكهولم، ١٩٩١م، الصفحة/٩٥/.

٤٦-روجر ليسكو "قصص كردية" ، الطبعة الثانية، ستوكهولم، عام ١٩٨٧م، الصفحة /٥/.

٤٧-حاجي جندي "Epîkên kurdî" الملحمة الشعبية الكردية، صدر في موسكو عام ١٩٦٢م، وصدرت الطبعة الثانية في ستوكهولم عام ١٩٨٥م. الصفحة/١٩/.

٤٨-باسيل نيكيتين، e.q.k الصفحة /٤٧٣-٤٧٤/.

٤٩-حاجي جندي، e.q.k .

٥٠-نورالدين ظاظا، مقدمة لملحمة مخطوطة "ممي آلان"، إصدار اوزكورلك يولو، ١٩٩٠م، الصفحة /١٩/. تحت الاسم المستعار "جيروكنفيس"، والمقدمة طويلة يقول فيها: أن الملحمة أصدرها أول مرة الكاتب: A.Socin باللغة الألمانية في بطرسبورغ عام ١٨٩٠م، وطبعت بعد ذلك في ألمانيا عام ١٩٠٣م نشرها: A.Von.Lcq ثم طبعه أوسكارمان في برلين ١٩٠٦-١٩٠٩م، ونشره هوغر ماكاس في بطرسبورغ عام ١٩٢٦م. وطبعها ثلاثة مترجمين من اللغويين الأرمن في "روان" عام ١٩٣٣م. كما نشر هذا الكتاب باللغة الفرنسية روجر ليسكو بمساهمة جلادت عالي بدرخان مع الأصل الكردي في بيروت عام ١٩٤٢م. وعلينا أن نضيف إلى ذلك النسخة التي طبعها جيرارد كالياند تحت عنوان: "الشعر الكردي الشعبي"

باللغة الفرنسية بعد التنقيح، صدر في باريس وستوكهولم عام ١٩٨٠م إضافة إلى الأصل الكردي.

٥١-جلادت عالي بدرخان، مجلة هاوار، العدد/٢٣/، دمشق عام ١٩٣٣.

٥٢-م. محمود بيازيدي، e.q.k .

٥٣-هوسمند أوصمان، " Kultur ve Politika, Irak'taki Kurt yayinlari 1918-1949، مجلة، Studia kurdica, العدد /٢-٦/، الصفحة /٢٧/.

٥٤-هوسمند أوصمان، المصدر السابق.

٥٥-قناتي كردو، e.q.k ، الصفحة /٥٠/.

٥٦-هوسمند أوصمان، n.q.k .

٥٧-أحمد مختار جاف "مسألة الضمير".

٥٨-هوسمند أوصمان n.q.k .

٥٩-وفي هذا الصدد يجب التنويه بثلاث مجلات وصحيفة كردية كان لها الأثر البالغ في مسيرة الأدب الكردي واللغة الكردية. وهي مجلة "هاوار" و "روناهي" و "كلاويز". أما الصحيفة فهي "ريا تزه".

٦٠-إبراهيم أحمد، مجلة "كلاويز" العدد/١/، عام ١٩٣٩م.

٦١- الرقم /٦١/ لم يرد في الأصل.

٦٢-محمد أوزون، حوار مع إبراهيم أحمد، جريدة كردستان بريس، العدد/٨٩/. عام١٩٩١م.

٦٣-إبراهيم أحمد، كردستان بريس، العدد/٨٩/. ستوكهولم، عام١٩٩١م.

٦٤-فرهاد بيربال، "عبدالله كوران"، كردستان بريس، العدد/٩٠/.

٦٥-فرهاد شاكلي، "الشعر الكردي الكلاسيكي والحديث"، الصفحة /٢٧/.

٦٦-فريدة كوهي- كمال، "جمهورية كردستان نهوضها وسقوطها". أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. الصفحة /٨٤/،١٩٨٦م، الصفحة /٨٤/.

٦٧-كريم حسامي، "رواية البيشمركه"، مجلة بربانك، العدد /٧٥/.

٦٨-حمه سعيد حسن، Pêkenînî Geda û Hesen Qizilcî، جريدة كردستان بريس، العدد /٨٧/.

٦٩-باسيل نيكيتين، e.q.k الصفحة /٥٠٢/.

٧٠-جاسم جليل، مجلة روشن، العدد /٥/، الصفحة /١١-١٢/.

٧١-باسيل نيكيتين، مقتبس من وجهة النظر الرسمية للاتحاد السوفياتي، e.q.k ، الصفحة /٥٠٤-٥٠٥/.

٧٢-أسكري بويك، مجلة روزا نو، العدد /٣١/، الصفحة /١٧/.

٧٣-روهات، Yigitlige Tanik Olan Daglar، مجلة بركه، العدد/٥/، الصفحة /١١١/.

٧٤-مامد جمو، Vie et oeuvre Romanesque d'Erebê Şemo(xebata tezekê), باريس، سوربون، ١٩٨٨م، الصفحة /٣١/.

٧٥-روهات، مجلة روزا نو، العدد /٦/، الصفحة /١٦/.

٧٦-أسكري بويك، "عرب شمو و روايته"، جريدة كردستان بريس، العدد /٨٤/.

٧٧-أصدر المعهد الكردية في باريس الرواية المنظومة التي أعدها نورالدين ظاظا مرفقة بترجمة باسيل نيكيتين الفرنسية عام ١٩٩١م، "طبعة ثانية".

٧٨-رواية دمدم أعيد طبعها في عام ١٩٨٣م في ستوكهولم بالحروف اللاتينية. إصدار روزا نو.

٧٩-مالميسانز و محمود لوندي، "الصحافة الكردية" (١٩٠٨-١٩٨١)، إصدار زينا نو، ستوكهولم، ١٩٨٩، الصفحة /١٥/.

٨٠-محمود لوندي، " Ilk kurt gazetesi Kurdistan (1898-1902)"، مجلة برهم، العدد /٨/، الصفحة /١٥/.

٨١-محمد أمين بوزأرسلان، "صحيفة كردستان"الطبعة الجديدة، إصدار "دنك"، أوبسالا، ١٩٩١م، الصفحة /١١-١٢/.

٨٢-فرهاد عمر، "مصدر الرواية الكردية"، السوربون، ١٩٩٠م، الصفحة /٢٦/.

٨٣- مالميسانز و محمود لوندي، e.q.k ، الصفحة /٥٦/.

٨٤-فرهاد عمر، e.q.k ، الصفحة /٥٠/.

٨٥-زنار سلوبي، (قدري جميل باشا)، قضية كردستان، مطبعة ستور، بيروت ١٩٦٩م، الصفحة /٢٥-٢٦/.

٨٦-في المقدمة التي كتبها محمد أمين بوز أرسلان معلومات واسعة ومهمة عن جمعيات كردية وحركتها في استانبول. وهي المقدمة التي كتبها لمجلة "زين-Jîn ".

٨٧-مجلة زين Jîn، مقدمة محمد أمين بوزأرسلان. إصدار "دنك"، أوبسالا عام ١٩٨٥م، الصفحة /٩٧/.

٨٨-عبدالرحيم هكاري، ممي آلان، مجلة زين Jîn، العدد /١٥/، إصدار دنك، أوبسالا ١٩٨٥.

٨٩-بخصوص هذه المسألة صدرت للدكتور إسماعيل بشيكجي كتب "Bilim Yontemi"، في ١٩٧٦-١٩٧٩م. وهي من أهم المراجع. إلا أنها منعت من التداول ودفع مؤلفها ضريبة باهظة إذ قضى أعواماً طويلة في السجون.

٩٠-محمد أمين بوزأرسلان، زين Jîn، إصدار دنك، أوبسالا ١٩٨٥م، الصفحة /١٠/.

٩١-محمد أوزون، "جلادت عالي بدرخان وجهوده في اللغة"، مجلة بربانك، العدد /٦٨/.

٩٢-جلادت بدرخان، الهدف واسلوب العمل والكتابة في مجلة هاوار. مجلة هاوار، العدد/١/، الصفحة /١/.

٩٣- جويس بلو، Kurtçe Dilbilim ve Sozluk Çalişmalari, Studia Kurdica, العدد /١-٣/، الصفحة /٦٨/.

٩٤- Seydayê Gerok، (جلادت بدرخان)، مجلة هاوار، العدد /٣٢/، الصفحة /١٤/.

٩٥-جلادت عالي بدرخان، جكرخوين "مقدمة الديوان الأول"، إصدار باهوز، أوبسالا، ١٩٧١م، الصفحة /٨/.

٩٦-قدري جان، جكرخوين وديوانه. مقدمة الديوان الأول لجكرخوين، إصدار باهوز، أوبسالا، ١٩٧١م، الصفحة /٨/.

٩٧-موسى عنتر، Kimil، مطبعة يني، استانبول عام ١٩٦٢، الصفحة /٦/.

٩٨-موسى عنتر، الآنف الذكر، e.q.k الصفحة /٣/.

٩٩-محمد أوزون، "بلسم الجروح السوداء و موسى عنتر" مقدمة لكتاب موسى عنتر الجرح الأسود، إصدار كورال، استانبول، ١٩٩١م، الصفحة/٥/.

١٠٠-موسى عنتر، الجرح الأسود، استانبول، ١٩٦٥، الصفحة /٢/.

١٠١-توري، عن قرية دونو، كردستان بريس، العدد/٨٣/، الصفحة /١٦/.

١٠٢-محمد أوزون، حظ محمد كاراتاش، مجلة هيفي، العدد /٦/، الصفحة /٦٥/.

١٠٣-أحمد جان تكين، رواية التية، أو "رواية الضياع". مجلة كردستان بريس، العدد/٨٣/.

١٠٤- Per Westberg ، الأدب الأفريقي الحديث، باللغة السويدية. إصدار .W-W ستوكهولم، ١٩٦٩، الصفحة ٣٤-٣٥.

١٠٥-طاهر بن جلون، المجلة الأدبية، العدد /٢٢١/، الصفحة /٣٩/.

١٠٦-أحمد الحسيني، سليم بركات وروايته. مجلة كردستان بريس، العدد /٨٥/.

١٠٧-محمود باكسي، Şivan 'in Sevdasi ، إصدار آناليز، استانبول، ١٩٩٠، الصفحة /٨٦/.

١٠٨-سعيد آلب، Devran، إصدار آيدنلك، استانبول، ١٩٧٩م.